المجلد الرابع عشر — الجزء ٩ و ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافق سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٣٦ م

جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٥٥ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى ، ثمن السادسة الى كل سنة منها في الداخل ٢٥٠
〃 السابعة الى الثانية عشرة 〃 〃 ٢٠٠
〃 الاولى الى السادسة 〃 في الخارج ٤٠٠
〃 السابعة الى الثالثة عشرة 〃 〃 ٣٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

نظرة في النحو

للأستاذ طه الراوي

قالوا : ان العربية مفتقرة الى معجم لغوي يتحلى بخصائص المعاجم العصرية في اللغات الحية وحق ماقالوا ، ولكنهم نسوا ان إلى جانب هذا الافتقار افتقاراً آخر لا يقل عنه مسيسا ، ان لم يُرب عليه . ذلك هو وضع كتاب في النحو يتحلى بأكمل ما يتطلبه العصر من جودة في التهذيب ، واتقان في التبويب والترتيب ، ليكون معتمداً لجمهرة المؤدبين ، ومورداً لمن لم يتأهل لخوض غمار الاسفار المبسوطة من المتعلمين .

ولا يتأتى ذلك الا على يد فئة من اعلام العصر احاطت علما بما تقلب عليه هذا العلم في اطواره المختلفة من رفع وخفض وابرام ونقض ، زيادة على الاحاطة بمذاهب اهله ، واساليبهم في تثبيت آرائهم . تنظر هذه الفئة فيه نظرا بعيدا عن التعصب لمذهب والتحيز الى رأيه ، فتمخض قواعده ومسائله محضا علمياً ، وتخرج زبدته خالصة فتودعها كتابها .

والا فان ابقاء هذا العلم على ما هو عليه من التدافع في المذاهب ، والتضارب في الآراء ، والتشعث في القواعد والمسائل — يدعو الى اطلاق يد الفوضى فيه ، واجفال الناشئ عن تعاطيه ، او بالاقل يشيزرونه ويستثقلون ظله ، هذا في الوقت الذي نجد فيه الامم الراقية دائبة كل الدأب في تسهيل لغاتها على ابنائها وغيرهم وتحبيبها اليهم بتهذيب مسائلها وصقل قواعدها ، وتقريب فوائدها ، مما يدعو لنمائها ولانتشارها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعمري لو جمد أوّلونا على ما وضعه لهم أسلافهم من حدود واستخرجوه لهم من قوانين — جمودنا اليوم لما وصل هذا العلم الى ماوصل اليه من الثروة في القواعد والبسطة في المسائل ، ولكنهم جدوا ، وبذلوا الوسع ، وجددوا في هذا الشأن بقدر ما تسمح به طبائع ازمانهم ، والوان بيئاتهم (وكان سعيهم مشكوراً) .

وبقي علينا اليوم أن نأخذ بحظنا من الخدمة في هذا الباب بمقدار ما يتطلبه مزاج العصر من اصلاح وما تسخو به الطاقة من جهد .

واريد ان ألم في هذا المقال بتشخيص بعض العاهات التي عرضت للنحو (اريد به ما يشمل الصرف) والآفات التي منيت بها كتبه ، ولا بد لايضاح ذلك من تقديم كلمة في نشأته وافتراق مذاهبه .

تمهيد تاريخي :

عند ما اتسعت لاجدادنا رقعة الفتوح ، واتسعت لهم الدولة ، ضربوا في الارض وانبسطوا في الآفاق ، وخالطوا صفراء الامم وحمراءها ، واحتكت لغتهم بلغاتهم ، ولم تكد تستقر بهم الحواضر حتى آنسوا فارط اللحن يتمشى في حواشي لغتهم ، ويدب على السنة احداثهم ، فراعهم ذلك ، وعز عليهم ان تطغي العجمة على لغتهم ، ولغة دولتهم بل لغة ملتهم ، التي هي سر نهضتهم ومصدر عزتهم ، فحفزت الحمية القومية والغيرة الدينية رجالا منهم لنصرتها ، والذب عنها .

وكان مجلى الحلبة في هذا المضمار ابو الاسود الدؤلي الكناني ، احد اعلام التابعين بارشاد من الامام علي رضي الله عنه ، وكان من ارباب البصائر الحية ، فاستعرض طائفة من كلام العرب ، وتوصل الى استخراج طائفة من المسائل ، واستنباط بعض القواعد اسماها (النحو) ، ودونها في صحيفة له ، عرفت عند النحاة بالتعليقة ، وهي اول كتاب دون في علم اللسان العربي .

وبهذا نعلم ان النحو اسبق علوم اللغة وضعاً وتدوينا ، والسبب في هذا ان بوادر اللحن واعراض الفساد هجمت على الاعراب ونظام التركيب ، قبل هجومها على مفردات الكلم وموضوعاتها ، ولذلك احتاجوا الى وضع قوانين تعصم اللسان والقلم عن الخطأ في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نظام التركيب ، واصول الاعراب ، قبل احتياجهم الى ضبط مفردات الكلم وتحديد موضوعاتها .

البصريون والكوفيون

وابو الاسود وان كان كوفي المولد ، الا انه بصري النشأة ، وفي البصرة وضع حجر الزاوية في أساس نحوه ، وكان تلامذته من اهلها ، ولذلك بقي النحو ربيبا للبصريين يتنقل في حجور ائمتهم ، الى ان كان عصر الخليل بن احمد الفراهيدي ؛ فجمع متفرقه ، وفصل قواعده ، وهذب مسائله ، واكمل ابوابه ، وتقدم الى سيبويه — وكان من انبه تلاميذه ، وأسماهم همة — أن يجمع ذلك في كتاب ، ففعل وابدع ما شاءت له قوة درايته وسعة روايته .

وانتقل بعض البصريين من النحاة الى الكوفة ، واتخذها دار اقامة له ، واخذ ينشر النحو بين ظهرانيها ، وكان في الطليعة من هؤلاء ، عبد الرحمن التميمي (المتوفى سنة ١٦٤) ، ثم ابو جعفر الرؤاسي ، وعمه معاذ بن مسلم الهراء ، مبدع علم التصريف .

وأشهر من تخرج بهؤلاء وأنبههم علي بن حمزة الكسائي ، وكان ممن يحضر في حلقة الخليل ، ثم ضرب في البوادي سنين كثيرة ، يأخذ عن الصميم من اهلها ، ولم يزل يدأب في الجمع والتحرير ، حتى انتهت اليه امامة العربية في الكوفة ، ولم يتقيد بمذاهب من سبقه في التأصيل والتفريع ورسم للكوفيين الحدود التي احتذوا امثلتها وخالفوا فيها البصريين ، فهو عند الكوفيين بمكانة الخليل عند البصريين وعلى يده امتاز نحو الكوفة عن نحو البصرة ، واحتدم الجدال وتطاير شرر المناقشة بين الفريقين .

البغداديون والأندلسيون

ولما أُنشئت بغداد ، وصارت حاضرة الخلافة ، وراجت فيها سوق الآداب ، وكان الكوفيون أسبق الناس اليها لمكانة الكوفة منها من الوجهتين السياسية والجغرافية فكان علماؤها أشد الناس اتصالاً بقصور الخلفاء والأمراء ، والصدور من حلق التدريس ومحافل الآداب فيها ، فكان للكسائي عند الرشيد ولتلميذه يحيى بن زياد الفراء ، منزلة مغبوطة ، وقد كان المأمون رسم أن يفرد للفراء مكان خاص في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دار الحكمة ، ووكل به من يكفيه كلّ حاجته ، وعين له الوراقين وألزمه الأمناء والمنفقين ، وأمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب ، فكان يملي والوراقون يكتبون حتى أتمّ تصنيف كتابه المعروف بكتاب (الحدود) .

وتخرج بهؤلاء الكوفية جماعة من البغدادية ، ولعوا بالتوسع في الروايات ، والتباهي في الترخيصات ، والتفاخر بالنوادر والطرائف ، حتى ابتعدوا عن أصول أشياخهم ، واستوى لديهم مذهب امتاز عن مذهب أسلافهم ، عرف بمذهب البغداديين

وازدحمت أقدام الأعلام حول مناهل هذا العلم واكثرت التصانيف فيه ، ما بين مطولة ومختصرة ، وبين عامة مشتملة على جميع أبوابه ، وخاصة في باب او بضعة أبواب ، وكثر الأخذ والرد بين البصرية والكوفيه والبغدادية ، واختلط اللجاج بالحجاج ، وبينا الناس في هذا التسابق في المشرق كان النشاط آخذاً مأخذه في بناء الدولة الأندلسية في المغرب على أرصن الأسس وأقواها ، وكان لملوك تلك الدولة ولوع عظيم في رفع معالم العلم وإقامة أسواق الأدب ، اقتفاء لآثار أوليهم في شامهم ، وإحياء لمآثرهم في زهر أيامهم ، ومباراةً لأبناء عمهم في بغدادهم ، فكان همهم الحدب على أبناء الأدب ، والحرص على تكريمهم وتبجيلهم وادرار أخلاف النعم لهم حافلة ، فأقبل الناس على الآداب يردون حياضها ويرتادون رياضها ، فكان من آثار ذلك أن أنجبت تلك المملكة نخبة من الأعلام ، رجعوا الى ما أصّله العراقيون وما فرعوه على اختلاف المذاهب ، فأطالوا النظر فيه ، ووقفوا على ما بين تلك المذاهب من خلاف ووفاق ، وما يستند اليه كل فريقٍ من رواية ودراية فشقوا لهم طريقاً سويا ، كان عمودهم فيه مذهب البصرية ، لم ينحرفوا عنه الاّ عند مايجدونه منحرفاً عن حكم الرواية ومنهج الدراية .

كما قال أبوحيان : نحن لم نتعبد بمذهب البصريين ، وإنما نتبع الدليل . ولما طغى سيلُ الإفرنجة على تلك الديار ، وُفجعت سماؤها بشموسها والأقمار ، اتجهت أنظار الكثير من أعلامها إلى الهجرة نحو المشرق ، فوجدوا أن مذهبهم قد سبقهم اليه ، فكان لهم الصدور من حلق التدريس ومحافل الآداب ، وكان لمذهبهم مكانته من الاعتبار وحظه من الانتشار ، هذه هي أمهات المذاهب في هذا العلم ، وهناك مذاهب متفرعة عن هذه يعسر حصرها ، إذ يكاد يكون لكل إمامٍ مذهب يخالف فيه غيره ؛ ولو من بعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الوجوه . فلسيبويه مثلاً : آراء يخالف فيها أشياخه ، وللأخفش آراء يخالف فيها سيبويه وسائر البصرية ، وقد ألف المبرد — وهو بصري النزعة — كتاباً في الرد على سيبويه ، وللفراء مذهب ينحرف فيه عن مذهب الكسائي في غير ما موطن ، وهكذا نجد لكل علم من أعلام العربية آراء ينفرد بها ، تكثر أو تقل بمقدار ما أوتيه من بسطة في العلم وبراعة في الإبداع ، ولكن مرجع ذلك كله الى الامات الأربع ، وأصول تلك الأمات اثنان: البصرية والكوفية ، أما مذهب البغدادية فمرجعه الكوفة ومذهب الأندلسية يرجع الى البصرية .

وأجلى ما يمتاز به مذهب البصرية ، ابتناء قواعده على الأغلب الشائع من كلام العرب وتحكيم المقاييس العقلية في الكثير من شؤونه ، وإذا اصطدم أصل من أصوله بسماع غير مشهور ، فزع الى التأويل والتوجيه ، أو رمى المسموع بالشذوذ أو الندور ، بل بالتخطئة أحياناً .

أما مذهب الكوفيين فيلواؤه بيد السماع ، لا يخفر له ذمة ، ولا ينقض له عهداً ، ويهون على الكوفي نقض أصل من أصوله ، ونسف قاعدة من قواعده ، ولا يهون عليه إطراح المسموع على الأكثر .

والبصريون يتصابون في أمر الرواية تصلباً لا يتقيد به رجال الكوفة ، ولذلك نرى أولئك يستخفون برواية هؤلاء ويشزرون رواتهم بعيون ضيقة ، ولا يعلم أن بصرياً روى عن كوفي شيئاً من الشعر يعتمد عليه في الشاهد ، إلا ما كان من أبي زيد الأنصاري ، فانه روى شيئاً منه عن المفضل الضبي قال : لثقته وأمانته .

ويزعم البصريون أنهم انما أخذوا عربيتهم عن الأعاريب العاربين في كبد الجزيرة ذوي السلائق المتوقحة ولا ثقة لهم بمن يجاور الأمصار ويتصل بالأرياف منهم، بخلاف الكوفيين فانهم يأخذون عن أولئك وهؤلاء على حد سواء .

ومن ينظر في نحو البصرة يجد أن القوم يبالغون فيما يزعمون ، أنظر كتاب سيبويه تجد فيه طائفة من شعر الأخطل والفرزدق بل من شعر بشار وهو من مولدي شعراء البصرة ، بله شعراء الأرياف ومجاوري الأمصار .

وبالجملة فإن مذهب البصرية أضبط قياساً ، وأتقن دراية ، ومذهب الكوفية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أكثر تشعباً وأوسع رواية ، وأنت ترى أن البصريين في تشددهم ، وتحكيم قوانينهم ، ضيقوا على العربية واسعاً في كثيرٍ من المواطن التي تتطلب السعة ، حتى لقد ضاق النحو الذي قدروه بمقاييسهم عن أن يسع نفسه ، وهو في ريعان شبابه ، ونعومة اهابه ، فوقعوا في تلحين خاصتهم و كبار أئمتهم ، فقالوا لحن سيبويه في كتابه ، ولحن فلان وفلان وهم من أئمة هذا الشأن ، بله الفقهاء والمفسرين والمحدثين والفلاسفة والمتكلمين وسنشير إلى أمثلةٍ من هذا في غضون هذا المقال .

ولا ينكر أن بعض المتأخرين من النحويين كابن مالك وابن هشام الأنصاري ومن تبعهما ، انتبهوا لهذا الأمر وحاولوا أن يفصموا شيئاً من تلك القيود التي لا تجتمع والرواية في مكان . فكان النجاح حليفهم في مواطن كثيرة ، وبقي على غيرهم أن يتم ما بدأوا به ولكنه لم يأت بعد ابن هشام من النحويين من نهج منهجه في التجديد والإصلاح ، فبقي الأمر محتاجاً الى معالجة ، فهل يوفق أبناء هذا الجيل للقيام بهذه المهمة والفوز بهذه الخدمة ؟ نترك الجواب على هذا السؤال لاعلام الادب وأمراء البيان .

ينابيع الشاهد

عندما انصرف العرب الى استخراج مسائل النحو ، وضبط قوانينه . وجدوا امامهم ثلاثة ينابيع واسعة : التنزيل والحديث ، وكلام العرب الموثوق بعربيتهم ، وكان على النحوي الا يقطع في تقرير قاعدة او ضبط قياس . الا بعد ان يتقرى هذه الينابيع بقدر طاقته ، وعلى مبلغ حظه من روايةٍ ودراية ، ولا جرم أنه يتعذر على الفرد الواحد الاستقصاء في الاستقراء ، مهما أوتي من بسطةٍ في العلم ومثابرةٍ على الكد والجد ، فلا بد بعدئذ من الاعتماد على الاستقراء الناقص ؛ بالنسبة للفرد ، وأما المجموع فيراد منهم اكثر من ذلك ؛ بمعنى أن الواحد لا يمكنه الإحاطة بكل ما في العربية من منثور ومنظوم ولكن مجموع ذلك ، أو عظمه مفرق على جميع علماء العربية .

فالاستقراء الفردي لا يؤدي إلى الطمأنينة فلا بد من المصير إلى استقراء الجماعات ثم إن الاطلاع وحده لا يغني شيئاً ما لم يعضده الانتباه إلى محل الشاهد ، وموطن الاستنباط فاذا فرضنا أن الجماعة — بله الواحد — أمعنت في الاستقراء والاستقصاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكان غم عليها موضع الشاهد . فكأنها لم تستقرَ ولم تستقص . ولا جدال في ان ما يبنى على الاستقراء والانتباه الناقصين لايكاد يسلم من النقص .

اذا عرفنا هذا انكشف لنا السر في سعة شقة الخلاف بين علماء العربية وتشعث الكثير من الضوابط ، بكثرة ما يعقبها من كثرة في الاستدراك ، واختلاف في وجوه النظر .

ولإضاءة طرف من هذه الناحية رأينا ان نفرد لكل ينبوع من تلك الينابيع فصلا برأسه ، نجمل فيه مبلغ حظ النحو منه ، او حظه من عناية النحويين به ، او تفريطهم في جنبه .

القرآن الكريم :

لا جدال في ان القرآن هو الينبوع الاعظم ، والبرهان الاقوم ، في تقرير قواعد النحو ، وتحرير مسائله . وقد اجمع النحاة على صحة الاحتجاج بقراءاته المختلفة ، متواترها وآحادها وشاذها . وحق ما اجمعوا عليه ، لان القراءات على اختلاف انواعها انما تستند على المشافهة بالرواية ، وعلى رسوم امات المصاحف العثمانية . فهي وان انفردت او شذت ، اقوى بكثير من سائر المرويات من الكلم التي ليست بقرآن .

وقد عهدناهم يستشهدون بالروايات المختلفة في البيت الواحد فكيف لا يحتجون بالقراءات المختلفة في الآية الواحدة .

وعلينا هنا ان ننبه الى « ان ائمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الافشى في اللغة ، والاقيس في العربية . بل على الاثبت في الاثر . والاصح في النقل .. والرواية اذا ثبتت عنهم لا يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة . لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها » . و « الاسناد » الصحيح هو الاصل الاعظم والركن الاقوم » عندهم ولا تجوز القراءة بالقياس المطلق قطعا . وكل قراءة لم تستند على الرواية فهي مردودة وان وافقت مقاييس النحاة .

وكان على النحاة ان يستفيدوا من هذا التشدد في التقيد ، ويصرفوا جل عنايتهم الى الاستعانة بتلك القراءات التي تتمثل فيها افصح لغات العرب واسماها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن هل فعلوا ذلك ، واعطوا تلك القراءات حظها من الرعاية ؟

نحيل الجواب على هذا السؤال الى الأمثلة التالية :

قال البصريون : لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف اليه الا في ضرورة الشعر فعورضوا بالقراءة المتواترة (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادَهم شركائِهم) بنصب (اولادهم) وجر (شركائهم) وفيها الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول به وهو (اولادهم) فلم يكن من متشددي البصريين المتعصبين لهم الا اقامة النكير على هذه القراءة والاجتراء على تلحين علم من اعلام القراء السبعة ، تلقى قراءته عن كبار التابعين وبعض كبار الصحابة منهم الخليفة الثالث وابو الدرداء ، وهو — بعدُ — من ضميم العرب الذين يحتج بكلامهم ، وقد تلقى قراءته هذه عن الاثبات ، وتلقاها عنه الثبات بعد الثبات ، ذلك هو (عبد الله بن عامر) قاضي دمشق وشيخ مشايخ قرائها ، وامام جامعها الاعظم ، على عدان عمر بن عبدالعزيز .

وكان اشد علماء العربية انكاراً عليه في هذه القراءة (جار الله الزمخشري) ، وكان عليه ان يستنكر المنع ، لان القرآن الكريم يجب ان يكون متبوعاً ، لا تابعا ، ولكن ما الحيلة وقد ارادوا العكس ، وجاء في قراءة بعضهم (فلا تحسبن الله مخلفَ وعدَه رُسُلَه) بنصب (وعده) وجر (رسله) وفيه الفصل بين المتضايفين بالمفعول به ايضا ، ولكن البصريين لم يعرجوا على هذه القراءة ، ولا على تلك ، ومضوا في رأيهم سادرين .

وقالوا : لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار ، الا في ضرورة قبيحة ، ولم يأبهوا للقراءة المتواترة « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحامِ) بكسر الميم عطفاً على الضمير المجرور بالباء ، وهي قراءة حبر الامة (ابن عباس) و (الحسن البصري) و (حمزة) احد الاعلام السبعة .

وقالوا : تبدل الهمزة من حرف المد الزائد الواقع بعد الف مفاعل ، نحو (عجائز) و (صحائف) و (سفائن) والاصل (عجاوز) و(صحايف) و(سفاين) ، قالوا : واذا كان حرف المد اصلياً امتنع قلبه همزة ، مثل (معايب) و (معاون) فلا يقال فيهما (معائب) و (معائن) ، ولما عورضوا بقول العرب (مصائب) و (منائر)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قالوا بشذوذهما ، واوردت عليهم قراءة نافع احد القراء السبعة (لكم فيها « معائش ») فقالوا هي خطأ ، كأن نافعاً جاء بها من عند نفسه ، ولم يروها عن العشرات من الثقات .

ومن امثلة ذلك قول ابن مالك في شرح كافيته : ان (بل) لا تقع في التنزيل الا للانتقال من غرض الى آخر ، وفاته انها جاءت فيه لابطال ما قبلها واثبات ما بعدها (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون) (ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق) .

وقال ابو حاتم السجستاني في قوله تعالى (وقيله يارب) لا يجوز ان يقرأ (قيله) الا بالنصب « واما من جر ، او رفع فقوله بظن وتخليط » مع ان القراءة بالجر ثابتة بالتواتر قرأ بها (حمزة) و(عاصم) من السبعة .

وقالوا ان الجملة الاسمية اذا وقعت جوابا للشرط وجب ربطها بالفاء وقد تنوب عنها اذا الفجائية ، ولما اورد عليهم قوله تعالى (والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون . واذا ما غضبوا هم يغفرون) ، فزعوا الى التأويل . وعندما قالوا ان (اذا) في الآيتين ليست بشرطية وانما هي ظرف لخبر المبتدأ بعدها ، واذا سألتهم الدليل قالوا لو كانت شرطية هنا لوجب اقتران جوابها بالفاء ، وهل هذا الا مصادرة ذميمة .

ولما اورد عليهم قوله (ان ترك خيراً الوصية للوالدين) لم يتمكنوا من القول بان (إن) غير شرطية ، ولكنهم زعموا ان جواب الشرط محذوف والتقدير : كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الوصية للوالدين ان ترك خيراً فليوص . ولا يخفى ما فيه من تكلف ظاهر .

وقال فريق لا يجوز تسكين لام الطلب بعد (ثم) الا في ضرورة الشعر ، ولم ينتبهوا للقراءة المتواترة (ثم ليقطع) ثم (ليقضوا) فقد قرأ جمهور القراء السبعة بتسكين اللام .

وقال طائفة فيهم المازني والاخفش والمبرد ، وابن السراج ، والفارسي : لا يجوز صوغ اسم التفضيل من (أَفْعَلَ) الرباعي الا شذوذا ولم يلتفتوا الى قوله تعالى (ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة) فانهما مصوغان من (اقسط) واقام ولا يجوز ان يقال انه من (قسط) الثلاثي لان معناه جار ولم يعدل ، وهو عكس المراد في الآية الكريمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والامثلة في ذلك اكثر من ان يتسع لها مقالنا هذا ، ومن هنا يظهر ان القوم قرروا بعض قواعدهم، وحرروا بعض ضوابطهم، قبل ان يستقروا القرءان الكريم ، ويستقصوا وجوه قراءاته كاملة ، وعندما يجدون قاعدة من قواعدهم هذه تقصر عن شمول بعض القراءات المعتبرة ، يعمدون الى التأويل يقلبون وجوهه والوانه ، كالذي فعلوه في قوله تعالى ، (ان هذان لساحران) وقوله (والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة) وقوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون) .

وقد بلغت الجرأة ببعض الذين في قلوبهم مرض ان زعموا ان هذه القراءات خطأ تولد من خطأ كتاب المصاحف العثمانية في الرسم ، وهذا بهتان عظيم ، ساعدهم عليه جهلهم او تجاهلهم اصول الاقراء اذ يظنون أنه يكفي فيه الاعتماد على الرسم وحده ، وهذا خطأ فاحش ألمعنا اليه في صدر هذا الفصل، وقلنا ان العمدة في ذلك ؛ الاخذ بالمشافهة ، والتلقين بالمدارسة . ولا يعتمد على الرسم وان وافق مقاييس العربية .

فاذا فرضنا — جدلا — ان كتاب المصاحف اخطأوا في الرسم ، فهل يعقل ان يسري الخطأ الى حفاظ الصحابة الذين شهدوا الوحي ، واخذوا القرءان حرفا حرفا عن الرسول الكريم ، وهم — بعدُ — امراء القول ، وفرسان الفصاحة ، وكلامهم حجة قاطعة في العربية ، فضلا عن رواياتهم في قراءاتهم .

زد على ذلك ان العربية بل البشرية لم تعرف كتابا احيط بالعناية ، واكتنف بالرعاية فحوفظ على تراكيبه ، وكلماته ، وحروفه ، وحركاته ، وكيفية ترتيله بلهجاته مع اتقان متناهٍ في التلقن والتلقين ، ودقة بالغة في الاخذ والاداء — مثل الكتاب العزيز فكيف يراد منه بعد هذا ان يدين لضوابط وضعية تمخضت بها استقراءات ناقصة ، وتحكمات باطلة ، ومن المؤسف ان صنيعهم هذا ادى الى نتيجة مضحكة ، تلك هي اندفاع بعض الجهلة او المتجاهلين من اعداء القرآن ؛ الى القول بان فيه لحنًا ، ظنا منهم ان كل ما يخرج عن مقاييس النحاة الوضعية فهو لحن ، وان كان في الذؤابة من الفصاحة ، وسمو المكانة من البلاغة ، وفاتهم ان تلك القوانين يجب ان تستمدّ من الكتاب العزيز ، وتدين له بالاذعان ، لانه افصح كلام عرفه اللسان العربي المبين ، وما يخرج عليه منها يجب ان يرمى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

به عرض الفضاء .

يحكى ان احد المتفلسفة جاء الى ابن الاعرابي يسأله عن قوله (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) قال : (اتقول العرب : ذقت اللباس ؟ فاجابه بالايجاب ثم قال له : هبك تتهم محمداً لم يكن نبياً ، أتتهمه بان لم يكن عربياً ؟؟؟) ونحن نقول لبعض الغلاة من متشددي النحاة ، هبكم تتهمون بعض رجال الاقراء بالتساهل في الرواية اتتهمونهم بالخروج عن صميم العرب الذين يحتج بقولهم ، وهل الراعي والاخطل مثلا اعرق في الفصاحة من ابن عامر وابن العلاء ؟؟! !

الكلام النبوي

لاتعرف العربية بعد القرآن الكريم كلاماً يسامي الكلام النبوي او يدانيه ؛ فصاحة مبنى ، وبلاغة معنى ، وبراعة تركيب ، وجمال اسلوب ، وروعة تأثير ، لا يختلف في ذلك مخالف ، ولا يمتري ممار ، ومع ذلك تجد النحاة ، متقدميهم ومتأخريهم ، لم يعتمدوا عليه في الاحتجاج لتأييد قواعدهم واثبات ضوابطهم ، واول من اقدم منهم على ذلك ابو الحسن الاندلسي المعروف بابن خروف (المتوفى سنة ٦٠٩) ثم (جمال الدين بن مالك المتوفى سنة ٦٧٢) وقد توسع في هذا الشأن توسعاً نَفَّس فيه على العربية بعض الشيء ، ولكن القوم اقاموا عليه النكير ، ورموه بالخروج عن سنن النحويين ؛ المتقدمين منهم والمتأخرين ، وكان اشدهم انكاراً عليه ابو حيان (المتوفى سنة ٧٤٥) ، وقد اطال في تعليل انحراف النحاة عن الاحتجاج بالحديث ، ويتلخص تعليله في امرين : (اولها) ان المحدثين اجازوا نقل الاحاديث بالمعنى ، ولم يتقيدوا باللفظ ، (الثاني) وقوع اللحن في بعض الاحاديث ، لان في الرواة من ليس عربياً بالطبع ، ولا علم له بصناعة النحو .

اما التعليل الثاني فانه اوهى من ان يقوى على محك النقد ، لانه ضرب من ضروب المصادرة في الاستدلال ، اذ لو احتجوا بالاحاديث لما وسعهم اتهامها باللحن ، ولكان ما اعتبروه لحنا مثالا يحتذى في العربية ، وبرهانا على صحة امثاله من ضروب القول ؛ كسائر الكلام الذي يحتج به .

والقول بان في رواة الحديث اعاجم ليس بشيء ، لان ذلك يقال في رواة الشعر والنثر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللذين يحتج بهما فان فيهم الكثير من الاعاجم ، وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثا ممن يعتد به يمكن ان يوضع في صف (حماد) الراوية الذي (كان يكذب ، ويلحن ، ويكسر) ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهجهم عن الاحتجاج بمروياته ، ولكنهم تحرجوا في الاحتجاج بالحديث ، ثم لو وصل الامر برواة الحديث الى هذه الدركة من الجهل بالعربية سليقة وصناعة ، لما صح الاحتجاج بمروياتهم في الشريعة ، لان تفريطهم — حينئذ — بالالفاظ يسري الى التفريط بالمعاني ، اذ المفروض انهم يجهلون العربية من طرفيها ، ولم يقل بذلك قائل .

واما التعليل الاول فقد كفانا الدماميني مؤونة تفنيده بقوله : « ان اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب ، وانما المطلوب غلبة الظن ، الذي هو مناط الاحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الالفاظ ، وقوانين الاعراب ، فالظن في ذلك كله كاف ، ولا يخفى انه يغلب على الظن ان ذلك المنقول المحتج به لم يبدل ، لان الاصل عدم التبديل ، لا سيما والتشديد في الضبط ، والتحري في نقل الاحاديث شائع بين النقلة والمحدثين ، ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فانما هو عنده بمعنى التجويز العقلي الذي لا ينافي وقوع نقيضه ، فلذلك تراهم يتحرون في الضبط ويتشددون مع قولهم بجواز النقل بالمعنى ، فيغلب على الظن من هذا كله انها لم تبدل ، ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحا فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها ، ثم ان الخلاف في جواز النقل بالمعنى انما هو فيما لم يدون ولا كتب ، واما ما دون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل الفاظه من غير خلاف بينهم ... وتدوين الاحاديث والاخبار بل وكثير من المرويات وقع في الصدر الاول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام اولئك المبدلين — على تقدير تبديلهم — يسوغ الاحتجاج به وغايته — يومئذ — تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال .. » اه

على ان في الاحاديث طائفة كبيرة تتوفر الدواعي على الاحتفاظ بنصوصها من غير ما تغيير ، مثل الادعية والاذكار ، وسائر ما تتعبد بنصه من الآثار ، والاحاديث القصار ، التي سارت مسير الامثال ، والكتب التي بعث بها الرسول الكريم الى الاطراف ، والعهود المدونة ... الخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم لا ادري لمَ ترفع النحويون عما ارتضاه اللغويون ؟ من الانتفاع بهذا الشأن ، والاستقاء من ينبوعه الفياض بالعذب الزلال ، فاصبح ربع اللغة به خصيباً ، بقدر ما صار ربع النحو منه جديباً .

وكان حالهما في الحكم واحدة لو احتكمنا من الدنيا الى حكم

كلام العرب الموثوق بعربيتهم :

يراد بهؤلاء عرب الجاهلية وصدر الاسلام الى ما يقارب النصف الاول من القرن الثاني للهجرة عندما اختلت العلائق ، واختبلت الالسنة ، وعب عباب اللحن في الحواضر ، وطفق يدب الى الارياف والبوادي ، وقد احتج النحاة بالمنظوم والمنثور من كلام الجاهليين ، والمخضرمين ، والاسلاميين ، وطرحوا كلام المولدين والمحدثين .

وذكروا في ساقة الاسلاميين (ابراهيم بن علي) المعروف بابن هرمة وكان قد توفي في اواسط القرن الثاني للهجرة ، وذكروا على رأس المولدين (بشار بن برد) المتوفى سنة ١٦٧ .

وقد كان بعض قدماء النحاة لا يرون الاستشهاد بشعر (جرير) و(الفرزدق) و (الاخطل) ومن في طبقتهم ، فاذا جاء شيء من كلامهم لا يطبق على المقاييس التي قدروها صاحوا بوجه القائل : لحنت ، واسأت ، واخبار عبد الله ابن ابي اسحاق الحضرمي (وهو من الموالي) في تلحين الفرزدق وما وقع بينهما من ملاحاة — مشهورة .

وقد ارتقى الامر ببعضهم الى تلحين بعض فحول الجاهلية كما وقع لعيسى بن عمر ، فانه كان يقول أساء النابغة بقوله : « في انيابها السم ناقع » وكان عليه ان يقول : (ناقعا) ويقول ابن فارس : ما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الغلط والخطأ ، فما صح في شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية واصولها فمردود كقوله : الم يأتيك والانباء تنمى .

وقوله : لما جفا اخوانه مصعبا ، وقوله : قفا عند مما تعرفان ربوع .

فكله غلط وخطأ .. — اه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نعم ليس في الدنيا من يزعم ان الشعراء معصومون من الخطأ ، ولكن ذلك انما يقع في المعاني ، لا في الالفاظ والتراكيب التي هي نتاج سلائقهم ، وهدتهم اليها طبائعهم .

ولا ندري بعد تلحينهم ابناء اللسان ، علامَ يستند النحوي وبمَ يحتج ؟ وهل قواعد هذا النحو واصوله الا منتزعة من استقراء كلام هؤلاء وامثالهم ، وكيف يسوغ لنا ان نطلب الى امراء القول وقادة القريض ، ان يدينوا في قولهم ، لقواعد وضوابط انتزعناها من استقراء بعض كلامهم وكلام امثالهم ، واذا نحن وصمناهم باللحن في موطن فمن يضمن لنا سلامتهم من اللحن في مواطن اخرى كنا اتخذنا منها سنداً في تقرير اصل ، وتأييد رأي .

نعم لو قالوا فيما لا ترضاه مقاييسهم الوضعية : هي لغة ولكن المتكلمين بها ليسوا بالاكثر حصى ولا بالأنبه قبيلا ، ولا بالافصح قيلا — لهان الامر ، لان القبائل تتفاوت بلُغاها تفاوتا كبيرا ؛ فلغة ازد عمان — مثلا — لا تسامي لغة هذيل ، وهذه لا ترتفع الى موازاة لغة قريش ، بسطة في الرفعة وثروة في الفصاحة ، ولكنهم ابوا الا ان يجعلوا لضوابطهم سلطاناً يستبد حتى بأفواه اهل اللسان ، مع انهم القدوة واليهم المصير في مادة هذه الضوابط ، واستخراج تلك القوانين .

على ان الجمهور لم يلتفتوا الى هذا التحكم ، واحتجوا بالمنثور والمنظوم من كلام اهل الطبقات الثلاث ، بل تجاوزوهم الى بعض اهل الطبقة الرابعة وقد احتج سيبويه ببعض شعر بشار ، مع انه مولد بالاجماع .

ويرى الزمخشري الاحتجاج بكلام ائمة اللغة وكبار رواتها من المحدثين ، جاعلا ما يقولونه بمنزلة ما يروونه ، ثم ان النحاة ولا سيما البصريين منهم لم يعتمدوا بكل القبائل العربية على حد سواء ، بل كان جل اعتمادهم على القبائل الضاربة في كبد الجزيرة ، مثل قيس ، واسد ، وتميم ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وطيء .

ولم يصل الى ايدي النحاة من كلام القبائل الموثوق بها الا بعضه ، قال ابو عمرو ابن العلاء (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير) اه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبهذا وذاك يظهر ما رزئ به الاستقراء من النقص في هذا الشأن : استخفاف بعض أهل اللسان وتلحينهم في لسانهم ، عدم الاعتماد على الكثير من القبائل ، افلات الكثير من كلام القبائل المعتد بكلامها . كل ذلك مما يفت في عضد الاستقراء ويضع من شأنه ، زد على ذلك أن معظم مادة الشاهد كانت من منظوم القول ، وكانوا اذا وجدوا فيه ما لا ينطبق على مقاييسهم ، وأعيتهم الحيل في توجيهه ، حملوه على الضرورة ، والضرورة عندهم مركب وطيء ، فكل ما جاء في النظم مما تأباه ضوابطهم يمكن حمله على الضرورة سواء أكان للشاعر منه مندوحة أو لم تكن . قال بعضهم : الشعر نفسه ضرورة وان كان الشاعر يتمكن من الخلاص بعبارة أخرى . وحاول ابن مالك أن يجدها بما ليس للشاعر عنه مندوحة ، فلم يسمعوا لقوله وأصروا على تفسيرها بما يقع في النظم دون النثر كأنهم أحاطوا علماً بالنثر كله من جميع أطرافه فاذا جاءهم شعر يخالفه قالوا هذا ضرورة . وقد علمنا نزارة ما وصل الى ايديهم من الشعر بله النثر . ألا تراهم أخفروا ذمام بعض القراآت المتواترة في اسمى نثر عرفه اللسان العربي المبين وما ذلك الا لقصور بعض مقاييسهم عن الانطباق عليها ، فكيف يتأخرون عن الاعتصام بالضرورة ذات المعقل الحصين . وهكذا سقط الاحتجاج بمجموع غير يسير من شعر القبائل المعتد بها والمعتمد عليها في الشاهد ، من جراء الاتكاء على الضرورة في المنع ، رأينا مبلغ انتفاعهم بالقرآن الكريم وكيف افتأتوا ببعض ضوابطهم على بعض قراءاته المتواترة ، وعلمنا تفريطهم في جنب الكلام النبوي ذلك التفريط الملوم

وأشرنا الى مدى استقرائهم للمنظوم والمنثور من كلام أهل الطبقات الثلاث وكيف تحكموا في المنظوم اكثر مما حكموه .

كل هذا يشير الى أن هناك مجالا للاصلاح جديراً بأن تحتشد له الهمم ، وتحبس عليه العنايات حتى يثق أمره ويتسق بدره .

وقد أشرنا في موطن آخر من هذا المقال الى أن التشديد في التحديد افضى الى التحريج على الاقلام والالسنة ، وانتهى الامر بتلحين علماء اللسان بعضهم بعضاً ، أما تلحين أهل العلوم الشرعية والكونية في مصطلحاتهم فحدث عن البحر ولا حرج .

ولقد أفردت المصنفات في إحصاء الخطايا اللسانية على حملة الاقلام ولاسيما خواصهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما فعل ابن قتيبة في بعض أبواب أدب الكاتب ، وأبو العباس ثعلب في فصيحه ، وعبد اللطيف البغدادي في الذيل والحريري في درة الغواص .

وإذا أنت تصفحت تلك الكتب نقف على مبلغ ما وصل اليه التحكم في الالسنة والأقلام ولاسيما عند المتطرفين من النحويين ، حتى انتهت بهم الحال الى أن ضاق النحو نفسه عن أن يسع نفسه ، فضلا عن سائر العلوم ، ولا سيما التي لا عهد للسان المبين بها من قبل .

وهاك نموذجاً مما وصمت به أقلام الاعلام من الانحراف عن سنن تلك الضوابط التي لولا التحريج فيها لسلمت تلك الاقلام من سمة الوصم .

قالوا : لا يجوز إدخال (ال) على (كل) و (بعض) ولكنهم تهافتوا على استعمالها بأل غير آبهين لقيدهم حتى نسب لبعضهم الجهل به . قال ابو حاتم : وقد استعملها الناس (يعني بأل) حتى سيبويه والاخفش في كتابيهما لقلة علمهما بهذا النحو اهـ . وفي بعض كتب النحو يدل (البعض) من (الكل) و (بدل الكل من البعض)

وقالوا : لا تستعمل (كافة) إلا منصوبة ومجردة من أل والاضافة . قالوا ومثلها (قاطبة) و (طرا) و (معا) و (عامة) ولكنهم لم يتحرجوا في استعمالها في كتبهم ، على خلاف ما قرروه . من ذلك قول أبي الفتح ابن جني في الخصائص : « افتجمع كافة اللغات على ضعف ونقص ؟ نعم ونحن نعلم أن القياس مقتضٍ لصحة لغة الكافة » وجاء في خطبة المفصل لجار الله الزمخشري (ولقد ندبني ما بالمسلمين من الارب الى معرفة كلام العرب لانشاء كتاب في الاعراب محيط بكافة الابواب) وقال الحريري في المقامة المراغية (واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب)

وعقد سيبويه في كتابه باباً لما يحذف المستثنى فيه استخفافاً ذكر فيه أنه يقال : « ليس غير وليس إلا كأنه قال ليس الا ذاك وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاء بعلم المخاطب ما يعنى » اهـ

وقال ابو سعيد السيرافي في شرح هذا الباب : « الحذف الذي استعملوه بعد الا وغير انما يستعمل اذا كانت الا وغير بعد ليس ، ولو كان مكان ليس غيرها من الفاظ الجحد لم يجز الحذف ، لانقول بدل (ليس الا) (لم يكن الا) ولا (لم يكن غير) اهـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجاء آخرون فمنعوا ان يقال : لاغير ، وكان المانعون اكثر تهافتاً على استعمال ما منعوه من غيرهم ، فقد كرر ابن هشام الانصاري المنع في كتبه ، وكرر استعمال ما منعه فيها وجاء في الخصائص « شذذته ايضا اشذه ، بالضم لا غير » .

وحاول بعضهم انقاذ العلماء من التورط في اللحن فحكم بجواز استعماله ، واستند الى سماع وقياس ، وقال سيبويه « اما (نعم) فعدة وتصديق واما (بلى) فيوجب بها بعد النفي . اه يريد انه اذا سأل سائل : اليس فلان حاضرا ، فقيل نعم ، كان معناه النفي اي فلان ليس بحاضر ، واذا قيل بلى كان معناه الايجاب ، اي فلان حاضر ، فنعم مصدقة للجملة التي قبلها موجبة كانت او سالبة ، وقد استعمل سيبويه (في عرض مناظرة جرت بينه وبين احد النحويين ذكرها في باب النعت ج ١ صفحة ٢٢٧) نعم موضع بلى فاوجب بها بعد النفي ، فقال ناس هذا لحن ، واطال آخرون في الجواب عنه بما تراه مبسوطا في كتبهم ، ومنعوا ان تتلقى بينا باذ واذا ، وكان اشدهم انكاراً لهذا الاستعمال الحريري في درته ، قال : « والمسموع عن العرب بينا زيد قائم جاء عمرو بلا اذ . » مع ان كتب العربية مشحونة بهذا الاستعمال ، هذا الحريري نفسه يقول في مقاماته « فبينا انا اطوف ، وتحتي فرس قطوف ، اذ رأيت . » وقال : فبينا انا عند حاكم الاسكندرية ، اذ دخل شيخ . « وقال » بينا انا اسعى واقعد ، واهب واركد ، اذ قابلني شيخ يتأوه . » .

ومنع في درته ايضا ان يقال : (سقط في يده) بالبناء للمعلوم ، واوجب البناء للمجهول ، وقد جاء في المقامة السابعة والثلاثين من مقاماته : « فسقط الفتى في يده » ومنعوا ان يقال من العلة (معلول) واوجبوا ان يقال (معل) وقد وقع ما منعوه في الكثير من كتب العربية ، وهو في جملة مصطلحات العروضيين ، بله المحدثين والاصوليين ، والمتكلمين .

ونخشى ان نحن استرسلنا في سرد الامثلة ان نمل القارئ ، ونضجره .

فعلينا ان نأخذ بعنان القلم ونعطفه الى ناحية اخرى من نواحي البحث لها اثرها في تكييف هذا العلم وتلوين مباحثه بالوان قد لا تروق انظار رجال التعليم في هذا العصر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الامعان في مباحث الاعراب :

من الواضح ان النحو يعنى بهمتين: الاولى صحة تأليف الكلم للابانة عما في النفس من المقاصد ، والثانية معرفة احوال الاواخر من اعراب وبناء ، فيطلب اليه ان يقوم بعصمة اللسان والقلم عن الخطأ واحوال اواخرها .

ولكن النحاة ولا سيما متأخريهم صرفوا جل عناياتهم الى معالجة الشق الثاني ، فاطالوا الكلام ، وامعنوا في الجدال حوله ؛ فاسهبوا في تعداد العوامل وسرد انواعها ، وما يعرض لامزجتها من العلل وما يتصل بها من الخلل ، وبسطوا القول في المعربات والمبنيات واسباب اعرابها وبنائها ، وانواع الاعراب ، وعلامات كل نوع ، واكثروا من النظريات المتباينة حولها الخ ...

اما الشق الاول فكان حظه من الرعاية أقل من حظ قرينه ، مع انه العماد في التفهم والتفهيم ، وعليه المعول في الابانة عما في النفس من الاغراض .

فمعرفة الفرق بين قولنا مثلا : اهاشم في المدرسة ؟ وقولنا في المدرسة هاشم ؟ وبين قولنا : أهاشم أم فالح في المدرسة ؟ وقولنا : أفي المدرسة هاشم أم فالح ؟ وقولنا : هل في المدرسة هاشم أم فالح ؟ اهم بكثير من معرفة الحركات الاعرابية في أواخر هذه الكلم . اذ لا جدال في ان صحة التركيب أوثق من الاعراب ارتباطا بجوهر الكلام ، ولذلك نجد من يعرف صحة تأليف القول بممارسة كلام الفصحاء اقدر على تفهم ما يريد ، وتفهم ما يراد ، ممن يعرف خصائص الاعراب ، ويجهل اصول تأليف الكلم .

ويظهر ان السبب في انصباب النحاة الى مباحث الاعراب اكثر من انصبابهم الى مباحث التركيب ان طلائع اللحن ظهرت في اعراب اللغة قبل ظهورها في مجاري التأليف ، كما يشهد بذلك الاسباب التي استفزتهم لوضع النحو ، ثم ان الاعراب اسمى حلية تتحلى بها لغة مضر ، فليس عجبا ان يستبي الانظار ويستبد بالهمم ، ولهذا استهوتهم مباحثه ، ولم تزل ترمي بهم المرامي وهم يتغلغلون في احشائها حتى خرجت بهم في بعض الاحياء الى آراء متنازعة ، ومذاهب ملتوية قد لا يرجى منها الوصول الى ثمرة شهية ، او فائدة عملية وهاك امثلة من ذلك :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قالوا : الاسماء الستة تكون في حالة الرفع بالواو ، وفي حالة النصب بالالف ، وفي حالة الجر بالياء ، ثم اختلفوا في علامات اعرابها على مذاهب شتى منها :

١ — هذه الاحرف نفسها ، ٢ — حركات مقدرة في الحروف وقد اتبع ما قبل الآخر للآخر ، ٣ — الحركات التي قبل الحروف ، والحروف اشباع ، ٤ — الحركات التي قبل الحروف ، وهي منقولة منها ، ٥ — الحركات التي قبل الحروف ، وليست منقولة ، بل هي الحركات التي كانت عليها قبل ان تضاف فثبتت الواو في الرفع لاجل الضمة ، وانقلبت ياء لاجل الكسرة ، والفا لاجل الفتحة ، ٦ — الحركات والحروف معا ، فهي معربة من مكانين ، ٧ — التغير والانقلاب في حالتي النصب والجر وعدم ذلك في حالة الرفع ، ٨ — (فوك) ، و (وذو) معربان بحركة مقدرة في الحروف ، والاربعة الباقية معربة بالحروف ، ٩ — بالعكس ، اي ان الاسمين الاولين معربان بالحروف ، والاربعة الباقية معربة بحركات مقدرة ، ١٠ — حركات مقدرة في الحروف التي قبل حروف العلة منع من ظهورها كون حروف العلة تطلب حركات من جنسها ، ١١ — الحروف دلائل اعراب والاعراب فيها لا ظاهر ولا مقدر ، ١٢ — النقل في حالة الرفع ، والبدل في حاله النصب ، والنقل والبدل معا في حالة الجر . ولكل مذهب من هذه المذاهب انصار يؤيدونه ، ومخالفون يفندونه ، ولكن هذه الضجة كلها لم تزحزح الاسماء الستة عن كونها بالواو في حالة الرفع ، والالف في حالة النصب ، والياء في حالة الجر ، ومثالا آخر ، قالوا يكون المثنى بالالف في حالة الرفع : وبالياء في حالتي الجر والنصب ، ويكون جمع المذكر السالم بالواو في حالة الرفع وبالياء في حالة الجر والنصب ، واختلفت مذاهبهم في اعرابها ، وهاك المشهور منها : —

١ — انهما معربان بالاحرف المذكورة نفسها ، ٢ — بحركات مقدرة فيما قبل هذه الاحرف ، ٣ — بحركات مقدرة في الاحرف نفسها ، ٤ — الحروف دلائل اعراب ، بمعنى انك اذا رأيتها فكأنك رأيت الاعراب ، ٥ — بقاء الالف والواو رفعا وانقلابهما جرا ونصبا ، وعليه يكون الاعراب معنويا لا لفظيا ولا مقدرا ، ٦ — ان المثنى مبني .

ثم جاءوا الى نونيهما فقالوا انما زيدت فيهما : ١ — لرفع توهم الاضافة في بعض المواطن ، ولرفع توهم الافراد في بعض ، ٢ — انها عوض من حركة المفرد ، ٣ — عوض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من تنوين المفرد ، ٤ـ عوض من الحركة والتنوين معاً ، ٥ـ عوض من الحركة والتنوين فيما وجدا في مفرده ، ومن الحركة فقط فيما لاتنوين في مفرده ، ومن التنوين فقط فيما لا حركة في مفرده ، وغير عوض فيما خلا مفرده عن الحركة والتنوين ، ٦ ـ هي فارقة بين رفع المثنى ونصب المفرد ، ثم حمل سائر التثنية والجمع على ذلك ، ٨ ـ انها التنوين نفسه ولكنه حرك لاجل الساكنين .

ثم انتقلوا الى حركة هذه النون فقالوا وأطالوا

كل هذا التنازع لم يبدل شيئاً من الحالة التي استقر عليها العمل في المثنى والجمع ونونهما ، وبقيت المنازعات الصناعية في ما وراء ذلك .

واذا أنت استعرضت آراءهم في الإعراب أهو لفظي أم معنوي وأين محله ، ثم أزائد هو على الماهية أم جزء منها ، وهو أصل في الاسماء أو الافعال او فيهما ، ثم الاسماء قبل التركيب مبنية او معربة اولا معربة ولا مبنية الى أمثال ذلك ـ يأخذك العجب من تزاحم الآراء المتنازعة ، وتكاثر المذاهب المتدافعة في نظريات صناعية لا تقوّم لسانا ولا تغذي بياناً .

هذا ونحن نعوذ بالحق ان يشم مما بسطناه أنا نقصد انتقاص جهد من جهود اولينا او نزدري عملا من أعمالهم ، معاذ الله أن يدور في خلدنا شيء من ذلك كيف ونحن في ضعاف الساقة وقفاة الاتباع ، نباهي بالانضواء إلى أعلامهم ، والانتماء الى خدامهم ، وهل استقينا الا من بحورهم ، واقتبسنا إلا من نورهم ، واقتدينا إلا بهداهم ، واهتدينا إلا بضوائهم وهم الذين بجسوا ينابيع هذا العلم ، وشرّعوا شرائعه ، وأنهجوا سبله ، وما برحوا يعالجونه حتى تفتحت لهم أبوابه وذلت لهم عقابه واذعنت لهم مشكلاته ودانت معضلاته .

وكل ما نرمي اليه في هذا البحث إثارة بعض النواحي التي تتطلب خدمة صادقة من أبناء العصر ، وبعبارة أخرى البرهنة على أن ميدان الإصلاح في هذا الشأن وسيع ومجال الخدمة فسيح .

ولعمري ان هذا العلم لم يعدم في عصر من العصور انصاراً يعكفون على خدمته ويضطلعون بتوسيعه وصقله وتهذيبه ، الا في الفترة التي استولى فيها الجمود على الافكار والاقلام في العصور المظلمة الاخيرة ، وإلا فنحن نعرف أن هذا العلم في زمن يونس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والخليل وسيبويه والكسائي والفراء أرفع منه شأنًا في زمن ميمون الاقرن وعبد الله ابن إسحق الخضرمي وأبي عمرو بن العلاء ، وهو في زمن أبي الفتح ابن جني وشيخه أبي علي الفارسي وابن خالويه ، انضروجها منه في زمن من سبقهم . ثم هو في زمن ابن مالك وأبي حيان وابن هاشم الانصاري اكثر تهذيبا ، وأتقن تفصيلا وتبويبًا منه في العصر الخالي ، وكلٌّ أصلح بمقدار ما تسخو به الطاقة ، وعلى قدر ما يتطلبه العصر من خدمة .

وبقي علينا ان نقبه الهمم ونستنهض العزائم لرأب ما أسأرته الايام في هذا العلم من من الثأي ، ونصطفي من تلك الآراء أصوبها ، ونسلك من تلك الطرق أنهجها ، ونلم الشعث من تلك المسائل التي عصفت بها أعاصير الجدال ففرقت شملها ، ونعطي الناحية العملية حقها من الرعاية ، ولا نعني بشيءٍ من النظريات الا بما له مساس مباشر أو غير مباشر بالعمليات .

ثم نهذب ذلك كله تهذيبًا علميًا ونرتبه ترتيبًا فنيًا ، ونخرجه للناس كتابًا سويا .

هذه نظرتنا في النحو ولنا كلمة في كتبه المتداولة سنقولها فيما بعد .

طه الراوى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سيفيات المتنبي

نثر الشعر ، قول في أبي الطيب

قال ابن أبي الحديد صاحب الشرح الكبير (للنهج) في كتابه : (الفلك الدائر على المثل السائر [1]) : « كنت شرعت في حل (سيفيات المتنبي) لشهرتها وغلبتها على ألسنة الناس ، وأن أجعل ذلك كتاباً مفرداً أتقرب به الى الخزانة الشريفة [2] — عمرها الله تعالى — فخرج بعضه ، وصدف عن إتمامه عوائق الوقت وشواغله » .

فهل أكمل ابن ابي الحديد هذا الكتاب ؟ وأين هو ؟

إن كان الزمان — وقد كان — قد أضاعه فإنه أبقى بقية منه . وفيها الدليل عليه ، وأنا مورد اليوم في (مجلة المجمع) منتقاها طرفة أدب لأدباء العرب ، وإعلاما ان احمد بن الحسين قد شغل حكيما وعالما متكلما مثل (ابن ابي الحديد) كما شغل الادباء واللغويين وغيرهم : فأديب نقده ، ولغوي شرحه ، ومؤرخ كتب سيرته ، وعالم نثر شعره او حل نظمه ، وآخر جمع حكمته . وانها لسعادة ما نال مثلها شاعر ، وما اسعد (احمد) الا عبقريته ، والعبقري في الدنيا شقي وسعيد .

وحل النظم من أفانين الادب في القديم ، وقد دُفع اليه الكتاب حين اتسع مجال الانشاء . وربما كان الجاحظ من اوائل من نثروا الشعر ، واستعانوا في كلامهم بقويض القارضين . روى عبد القاهر في (دلائل الاعجاز) هذه الرسالة للجاحظ الى ابن الزيات وقال : إنه نثر قول نصيب :

---

(١) مطبوع في الهند (٢) خزانة الكتب للخلافة العباسية في بغداد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب .

قال الجاحظ : « نحن (أعزك الله) نسحر بالبيان ، ونموه بالقول ، والناس ينظرون الى الحال ، ويقضون بالعيان . فأثر في أمرنا اثرا ينطق اذا سكتنا ، فان المدعي بغير بينة متعرض للتكذيب »

وروى بعضهم : « نظر ابو تمام الى سليمان بن وهب وقد كتب كتابا فقال : كلامك ذوب شعري »

وفي (كتاب الصناعتين) لابي هلال العسكري : « سمع بعض الكتاب قول نصيب (فعاجوا البيت) فكتب : لو امسك لساني عن شكرك لنطق عليّ أثرك . وفي فصل آخر : ولو جحدتك احسانك لا كذبتني آثاره ، ونمت على شواهده . وقريب من ذلك قولهم : شهادات الاحوال أعظم من شهادات الرجال »

وفي (كتاب الصناعتين) « قال بعضهم : الكتابة نقض الشعر . وقيل للعتابي : بمَ قدرت على البلاغة ؟ قال : بحل معقود الكلام »

ولابي منصور الثعالبي كتاب سماه (نثر النظم ، وحل العقد [1]) نثر الكتاب المترجم ب (مؤنس الادباء) وهو مختار صغير من الشعر . وقد تقدم اليه في حله (ابو العباس خوارزم شاه) كما ذكر الثعالبي ذلك في ديباجة الكتاب .

ولضياء الدين بن الاثير صاحب (المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر) كتاب في هذا المعنى اسمه (الوشي المرقوم في حل المنظوم [2]) وفيه أيضا حل لآيات قرآنية واخبار نبوية . قال ابن خلكان : « وهو مع وجازته في غاية الحسن والافادة » قال ابن الاثير في هذا الكتاب : « وكنت حفظت من الاشعار القديمة والمحدثة ما لا احصيه كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين : حبيب بن اوس ، وابي عبادة البحتري ، وشعر ابي الطيب المتنبي . فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الادمان لي خلقا وطبعا . وانما ذكرت

(١) منه مخطوطة في (الخزانة الظاهرية) في دمشق ، وقد طبع في مصر . (٢) منه مخطوطة في دار الكتب المصرية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الفصل في معرض أن المنشئ ينبغي أن يجعل دأبه في الترسل حل المنظوم ، ويعتمد عليه في هذه الصناعة » .

والتعويل كل التعويل على مايقول ابن الاثير ، فيه — عندي — من الضرر مافيه ، وشرح هذه المضرة — ان اردناه — يطول ، ولسنا الآن في مقام تبيينها . واستظهار الاشعار وكلام العرب انما هو للظفر بالملكة والاهتداء الى الاسلوب العربي ثم الكاتب وبراعته في التوليد والاختراع والابداع ، واين الحر المبدع في القديم والحديث اين ؟

وحل الابيات الشعرية ينقسم عند ابن الاثير الى ثلاثة اقسام ذكرها في (مثله السائر) :

(الأول) منها وهو ادناها مرتبة ان يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة ، وهذا عيب فاحش ، ومثاله كمن اخذ عقداً قد انقن نظمه ، واحسن تأليفه ، فأوهاه وبدده . وأيضا فانه اذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال : هذا شعر فلان بعينه لكون الفاظه باقية لم يتغير بنها شيء .

واما (القسم الثاني) فهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض الفاظه ، ويعبر عن البعض بالفاظ أخر . وهناك تظهر الصنعة في المماثلة والمشابهة ومؤاخاة الالفاظ الباقية بالالفاظ المرتجلة .

وأما (القسم الثالث) وهو أعلى من القسمين الاولين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بالفاظ غير الفاظه ثم يتبين حذق الصائغ في صياغته ، فان استطاع الزيادة على ذلك المعنى فتلك الدرجة العالية . وإلا أحسن التصرف ، واتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول . »

وقال (ضياء الدين) في التدريب على الحل :

« من أحب أن يكون كاتبا أو كان عنده طبع مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته . وطريقه أن يبتدئ فيأخذ قصيدة من القصائد فينثر بيتاً بيتاً على التوالي ، ولا يستنكف في الابتداء أن ينثر الشعر بالفاظه أو باكثرها فانه لا يستطيع الا ذلك ، واذا مرنت نفسه وتدرب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضروبا من العبارات المختلفة . وحينئذ يحصل لخاطره بمباشرة المعاني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقاح فيستنتج منها معاني غير تلك المعاني ، وسبيله أن يكثر الادمان ليلا ونهارا ، ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى تصير له ملكة . فاذا كتب كتابا ، أو خطب خطبة تدفقت المعاني في اثناء كلامه ، وجاءت الفاظه معسولة لا مفسولة ، وكان عليها حدة حتى تكاد ترقص رقصا . »

* * *

سيفيات المتنبي ، حل أبيات منها لابن ابي الحديد

فصل في التهنئة بعيد

لا زالت المواسم تغشاك وأغصانها وريقة وحدائقها أنيقة ، والأعياد تلقاك وأنت عيدها على الحقيقة ، ولا برحت تهنصر من الشباب لدنا رطيبا ، وتنضو من الاعياد سملا وتلبس قشيبا . فهذا اليوم الشريف في الأيام مثلك في الانام ، لكنه أوحد عام محصور ، وأنت أوحد الأعوام والدهور . ولا أحيل ذلك على محض الجد الذي ميز بين اليومين ، وفضل إحدى العينين بل على الجد الذي أسهرك وحاسدك راقد ، وشانئك قاعد .

هذا محلول قوله :

هنيئا لك العيد الذي أنت عيده ... وعيد لمن سمى وضحى وعيدا .
ولا زالت الأعياد لبسك بعده ... تسلم مخروقا وتعطى مجددا .
فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى ... كما كنت فيهم أوحدا كان أوحدا .
هو الجد حتى تفضل العين أختها ... وحتى يكون اليوم لليوم سيدا .

وقد زدت عليه بأن جعلت توحيده بالاستحقاق لا بالجد والاتفاق ، وفيه زيادة أخرى وهي عموم توحيده وخصوص توحيد العيد في أيام العام .

* * *

فصل في ذكر المراسلة

وتوالت منهم رسائل جعلوها عليهم أدراعا ، وقصدوا بها تزجية للوقت ودفاعا ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فظاهرها الاعظام لنا والإجلال ، وباطنها الارجاء لهم والإمهال .

هذا محلول قوله :

دروع لملك الروم هذي الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل .
هي الزرد الضافي عليه ، ولفظها عليك ثناءٌ سابغٌ وفضائل .

* * *

فصل

بابه المعمور كعبة الحيا ، ومغناطيس الشفا ، فالملوك تقبل بساط ديوانه، وتقصر عن تقبيل كمه وبنانه .

هذا محلول قوله :

تقبل أفواهُ الملوكِ بساطه ويكبر عنها كمه وبراجمه .(١)

***

فصل

أنا أستعديك عليك ، فالخصومة فيك ومنك واليك ، وأستميحك عدل فضائلك الذي عمّ الخلق وعداني ، وشمل الناس وتخطاني ، وأعيذ مرآة فكرك وهو الجوهر الشريف ، والشفاف اللطيف أن يظهر فيها تلبيس الحاسد وبهتان الكاشح المعاند ، وأخلاقك التي تظلم اذا قيست في اللطافة بالسلافة ، وفي الصفاء بالصهباء أن تحمل قذى الغش الصُراح ، وهي ألطف من أن تمزج بالماء القراح .

هذا محلول قوله :

يا أعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم .

وقول غيره :

---

(١) البرجمة المفصل الظاهر أو الباطن من الأصابع ، الجمع : براجم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أخلاقك الغرُّ الصفايا مالها حملت قذى الواشين وهي سلاف ؟
واللبس في مكنون رأيك ماله يخفى وأنت الجوهر الشفاف ؟

* * *

فصل

العادة طبيعة غالبة ، وسجية الى فعل المعتاد جاذبة ، وعاداتك الطعن في الأحداق وضرب الأعناق ، فاجر منها على اعراقك ، ومعهود عوائدك وأخلاقك ؛ فإن الملك لا تثبت دعائمه حتى تخضب بالدم صوارمه .

هذا محلول قوله :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدى .

وقوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ .

* * *

فصل في صفة السيوف

فنهدنا اليهم وفي أيدينا النار الموقدة في الرؤوس ، المعبودة قبل ملة المجوس التي لا يفسدها الماء ، ولا يطفيها الهواء ، ولا تحرق الأغماد ، ولا خمدت ليلة الميلاد . ترمي بالدم لا بالشرر ، وتوقد بالناس لا بالحجر ، تحكم تارةً بالتعظيم وتارةً بالتصغير ، وتجمع قوماً جمع السلامة وقوماً جمع التكسير .

هذا محلول قوله :

وفي أكفهمُ النار التي عبدت قبل المجوس ، الى ذا اليوم تضطرم .
هندية ، إن تصغر معشراً صغروا بجدها أو تعظم معشراً عظموا .

وقد زدت عليها زيادات كثيرة ، ورمزت الى الخبر الوارد في أن نار فارس خمدت ليلةَ ميلاد نبينا وخرجت الى قوله تعالى (إنها ترمي بشررٍ كالقصر) وقوله سبحانه (وقودها الناس والحجارة) ثم خرجت الى نكتة نحوية وهي جمع السلامة وجمع التكسير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فصل

السيف بالضارب لا بمضاء المضارب ، والحسام في يد الجبان كهام ، والكهام في يد الشجاع حسام ، ولذلك قال عمرو لعمر: لا لوم عليّ ولا حيف ، فإني لم أنحلك الساعد وانما نحلتك السيف .

هذا محلول قوله :

إن السيوف مع الذين قلوبهم كقلوبهن اذا التقى الجمعان .
تلقى الحسام على جراءة حده مثل الجبان بكف كل جبان .

* * *

إن القتيل مضرجاً بدموعه مثل القتيل مضرجاً بدمائه .

القتيل المتشحط في نجيعه كالعاشق المنخرط في دموعه ، وكلا الماءين دم الا أن هذا سال على أصل الخلقة ، وهذا صعدته[1] حرقة الفرقة .

—

القتيل الذي قطعت شرايين نجيعه أروح من القتيل الذي قطعت شرايين دموعه ، فذاك قد فارق الدنيا فأمن شرها وخيرها ، وهذا كما نضجت جلوده بدل جلوداً غيرها .

—

الدمع دم أحالت لونه نار الهوى فابيض ، وقطعت سلكه يد النوى فتبدد وارفض ، ولا فرق بينهما عند البصر والبصيرة الا أن هذا يسيل من عضو واحد ، وذاك من أعضاء كثيرة .

* * *

فصل

عذر الخيمة واضح في السقوط ، لأنها علت على مولانا فتأدبت له في الهبوط ، وعلمت عجزها عن أن تشمل من يشمل الزمان ، وأن تعلو على من يعلو على بهرام

(١) في (اللسان) : التصعيد الإذابة ومنه قيل : خلٌّ مصعد وشراب مصعد اذا عولج بالنار حتى يحول عما هو عليه طعماً ولوناً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكيوان [١]، فأرجاؤها في السعة بحيث يركض في كل قطر منها جحفل، ولكنها تضيق عن العالم المجموع في الواحد الأجل، وتقصر عنه وتطول على القنا الذبل، وأظنها لما أشرقت بأنواره، وتاهت لما عدت من جملة دياره — لم تملك نفسها فخرت وضعفت، ورب نفس أفرط عليها الفرح فزهقت، ولو رزق الناس ما رزقت من الشرف الباذخ البنيان لخانتهم الأرجل وخرّوا سجوداً للجباه والأذقان، وما سقطت عيثاً وانما اشارت بالرحيل، كما أن القصواء ما خلأت [٢] وانما حبسها حابس الفيل.

هذا محلول قوله:

ايقدح في الخيمة العذل ... وتشمل من دهرها بشمل ؟!
وتعلو الذي زحل تحته ... محال لعمرك ما تسأل.
تضيق بشخصك ارجاؤها ... ويركض في الواحد الجحفل.
وتقصر ما كنت في جوفها ... ويركز فيها القنا الذبل.
رات لون نورك في لونها ... كلون الغزالة لا يغسل.
وان لها شرفا باذخا ... وان الخيام بها تخجل.
فلا تنكرن لها صرعة ... فمن فرح النفس ما يقتل.
ولو بلغ الناس ما بلغت ... لخانتهم حولك الارجل.
ولما أمرت بتطنيبها ... اشيع بانك لا ترحل.
فما اعتمد الله تقويضها ... ولكن أشار بما تفعل.

وزدت على ذلك، الخبر المشهور وهو أن رسول الله ركب ناقته القصواء في عام الحديبية متوجها الى مكة فلم تنبعث تحته فزجرها مرارا، وزجرها أصحابه فلم تنبعث. فقالوا: خلأت القصواء. فقال النبي: ما خلأت وانما حبسها حابس الفيل، وجرى من توقفه عن مكة وصلحه قريشا ما هو مشهور.

* * *

(١) بهرام اسم المريخ، كيوان زحل. (٢) خلأت الناقة: حرنت. قالوا: يقال: خلأت الناقة، والح الجمل، وحرن الفرس.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فصل

قصار رماحك اطول من ظلالها ، وطول رماح اعدائك اقصر من زجاجها ونصالها ، وكم من رمح قصر فأطلته بخطاك ، وكم من بلد بعد فقربته بسراك . وقطرك في الندى والردى سيول وبحار ، وعزمك في الخصوم والعدى نصول وشفار ، وأناملك راجحة ولكن خلقت سيوفك من عجل ، فكلما نهيتها عن ولوغ الدماء قالت : سبق السيف العذل . وقد ينسب الجاهل حكمك أحيانا الى تدبير او خداع ، ولا يعلم ان الليث لا ياكل الجيفة ولا يفترس الضباع .

هذا محلول قوله :

طوال قنا تطاعنها قصار وقطرك في ندى ووغى بحار .
وفيك اذا جنى الجاني اناة تظن كرامة وهي احتقار .

وقول السموءل :

اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فتطول .

***

فصل :

الآراء الصائبة والشجاعة الثابتة تستعبد الصوارم وتستخدم المخاذم . فالتدبير أمير والشجاعة جنده ، والرأي حسام والصرامة [1] غمده ، ولو لم يلحظ هذا المعنى ويعتبر لكانت السباع أفضل من البشر ، وطالما نكست الاعلام بالاقلام ، وملكت الاصقاع بالرقاع ، ونفذت المكايد قبل نفوذ الحدائد ، فاذا اجتمع لنفس سعيدة هذان الامران نالت أقصى الإمكان ، وبلغت من العليا كل مكان .

هذا محلول قوله :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني .

---

(١) في (الاساس): رجل صارم ماض في الأمور ، وقد صرم صرامة . وفي (تهذيب الالفاظ): الصريمة قطع الامر والعزيمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فاذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان .
ولربما طعن الفتى اقرانه بالرأي قبل تطاعن الاقران .
لولا العقول لكان ادنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان .

* * *

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن في فعله والخلائق .

شرف الفتى بافعاله ، لا بحسنه وجماله . كالسيف يقطع بجوهره ، لا بحسن منظره . لو كان الفخر بما بدا في الصورة وظهر ، لا بما بطن من المعنى واستتر ، لكانت صورة النمارق أشرف من الحيوان الناطق .

* * *

فصل

حسام لولا ترقرق الماء في جوانبه لتلمست النار الموقدة من مضاربه . فقد أضر به حب الجماجم والاعناق ، حتى عاد نضوا كالهلال ، وودت سباع الطير والوحش أنها تفديه بالمخالب والانياب اذا فديت غيره بالانفس والاموال ، فاحسن ما خضب به الدم المار ، لا العسجد والنضار . والحسناء حسناء وهي في الاسمال والاطمار ، واذا كان الحلي لاتمام النقص يعمل فقشف الافضل انبل ، وعطل الاكمل أجمل .

هذا محلول قوله :

أحسن ما يخضب الحديد به وخاضبيه النجيع والغضب .

* * *

فصل

فلو كشف لك عن قلوبنا لرأيت الشوق قد فعل فيها ببرحائه فعل قنا الامير في صدور أعدائه . فانه جعلهم هلكى ، يطعنون مخلوجة وسلكى . فالفضاء الرحب لديهم احرج من التابوت ، ونسج داود عليهم أوهن من بيت العنكبوت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا محلول قوله :

نودعهم والبين فينا كأنه قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق .
قواض مواض، نسج داود عندها اذا وقعت فيه كنسج الخدرنق[1] .

وفيه أيضا حل قول امرئ القيس :

نطعنهم سلكى ومخلوجة كرّك لأمين على نابل[2] .

* * *

فصل في وصف منهزم

اجفل اجفال النعام، واقشع اقشاع الغمام . يتوهم كل حفيف يسمعه رشق نابل، ويرى الارض في عينيه كفة حابل . وقد كان آلى الا ينكص له قدم، ولا يعقب يمين الجنان حنث ولا ندم . واذا تزلزلت الاقدام لم تزد اليمين في الاقدام . والحرب تحسن الهزائم، وتغير العزائم، وتجعل أهون شيء ما تقول اللوائم .

هذا محلول قوله :

عقبي اليمين على عقبي الوغى ندم ماذا يزيدك في اقدامك القسم؟!

وقوله :

والعيان الجلي يحدث للظن زوالا وللمراد انتقالا .

وقول بعض شعراء الحماسة :

ملأت عليه الارض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفة حابل .

---

(١) الخدرنق : العنكبوت

(٢) السلكى بضم السين الطعنة المستقيمة، (المخلوجة) المعوجة عن يمين وشمال . (كرك لامين) أي ردك لامين وهما السهمان على من يرمي . يقال : اذا القيتهما لم يقعا مستويين، وربما استوى احدهما وتعوج الآخر . ويقال : سهم لأم اذا كان عليه ريشه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقول القائل:

اذا هبت النكباء بيني وبينكم فأهون شيءٍ ما تقول العواذل .

***

فصل في الصفح عن الجرائم

سيف الاحسان والاجمال اقتل من سيف القتل والاستئصال . وطالما غلّ بداً مطلقها ، واسترق رقبة معتقها ، الا أن اللئيم يفسده الاحسان ، ويصلحه الهوان .

هذا محلول قوله :

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا ؟ .

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا .

***

فصل

اذا كان الهوى من القلب في الشغاف والصميم ، واللوم يحوم حول ذلك الحمى والحريم ، وكلما شاهد الحر فر ، وكلما عاين النار استطار — لاجرم أنه يستحيل جوهره هباء ، ويذهب زبده جفاء ، ويثبت في محله ذلك الهوى ، ويلقي عصاه وتستقر به النوى .

هذا محلول قوله :

عذل العواذل حول قلبي التائه وهوى الاحبة منه في سودائه .

يشكو الملام الى اللوائم حره ويصد حين يلمن عن برحائه .

***

لا تعذل المشتاق في اشواقه حتى يكون حشاك من احشائه .

لو ذقت ما يذوق العاشق لتركت عذله وعرفت عذره ، ومن يضع يده في الماء يجد برده ويعرف حره .

***

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تباري نجوم القذف في كل ليلة نجوم له ، منهن ورد وأدهم .

فما زلنا نقطع الادهم الواقف بالدهم السائرات ، ونباري الشهب النيرات بالشهب الطائرات . الا أن تلك نجوم القذف والرجوم ، وهذه نجوم الغارة والهجوم .

***

فصل :

عزائمك لا تفل ، وآراؤك لا تضل ، ومدائحك لا تمل ، وأحكامك لا تميل ، وسيفك شريك المنايا في قبض النفوس ، فهذه لاختطاف الارواح وهذا لاختطاف الرؤس . وكل دم لم تحضنه ظباك أصبح مطلولا ، وكل ممات لم تشاركك فيه عد خيانة وغلولا .

هذا محلول قوله :

شريك المنايا والنفوس غنيمة فكل ممات لم يثبه غلول .

* * *

وقد حل ابن الاثير أبياتا كثيرة من شعر المتنبي اوردها في (رسائله) و (وشيه المرقوم) و (مثله السائر) وهذا نموذج منها :

إذا اختلفت العينان في النظر فالعذل ضرب من الهذر (أو) لا تعذل المحب فيما يهواه حتى تطوي القلب على ما طواه .

هذا حل قوله :

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك من أحشائه .

* * *

القتيل بسيف العيون كالقتيل بسيف المنون ، غير أن ذلك لا يجرد من غمده ، ولا يقاد صاحبه بعمده (أو) دمع المحب ودم القتيل متفقان في التشبيه والتمثيل . ولا تجد بينهما بونا ، الا انهما يختلفان لونا

هذا حل قوله :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان القتيل مضرجا بدموعه مثل القتيل مضرجا بدمائه .

***

لما التقى الجمعان اصطفت يمين وشمال ، وزحفت جبال الى جبال ، وكثرت النفوس على المنايا حتى كادت لا تفي بالآجال . واقدمت الخيل اقدام فرسانها ، واظلم النقع فلا تبصر الا بآذانها .

هذا حل قوله :

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان .

* * *

وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم .

سرى الى حصن كذا مستعيدا منه سبية نزعها العدو اختلاسا ، وأخذها مخادعة لا افتراسا . فما نازلها حتى استقادها . ولا نزلها حتى استعادها ، وكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائمه عزائم ، وعلق عليها من رءوس القتلى تمائم .

وفي هذا من الحسن ما لا خفاء به فمن شاء أن ينثر شعرا فلينثر هكذا وإلا فليترك ..!

وقد جئت بهذا المعنى على وجه آخر وذاك اني أضفت الى هذا البيت ، البيت الذي قبله وهو :

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم .

ولما نثرت هذين البيتين قلت :

بناها والأسنة في بنائها متخاصمة ، وأمواج المنايا فوق أيدي البانين متلاطمة . وما أجلت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها بركض الجياد ، وأصيبت بمثل الجنون فعلقت عليها تمائم من الرءوس والاجساد ، ولاشك ان الحرب تعرد (١) عمن عز جانبه ، ونقول : ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه !

وقد تصرفت في هذا الموضع بزيادة في معناه ونثرته على اسلوب أحسن من هذا الاسلوب فقلت :

بناها ودون ذاك البناء شوك الاسل ، وطوفان المنايا الذي لا يقال سآوي منه الى

(١) تهزب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جبل . ولم يكن بناؤها الا بعد أن هدمت رءوس عن أعناق ، و كأنما أصيبت بجنون فعلقت القتلى عليها مكان التمائم او شينت بعطل فعلقت مكان الاطواق .

* * *

قول موجز في المتنبي

في (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي : « قال في العبر : ليس في العالم أشعر من المتنبي أبدا ، وأما مثله فقليل . »

ولقد جاء أحمد بن الحسين بما جاء به وهو من تلك القافية وذاك الوزن في سجن . ولولا هذان لجودت الايام أيما تجويد تسطير ما أملى فلم يقل :

ولم تحسن الايام تكتب ما أملي .

—

رب ما لا يعبر (الشعر) عنه والذي يضمر الفؤاد اعتقاده .

والقافية في اكثر الأحايين هي القائلة لا القائل ، والوزن هو الوازن لا شعور الشاعر ، فأكثر الشعر ليس لأمله لكنه للوزن أو للقافية ، انه مما وجد ، ليس هو مما قصد .

ولولا أن عبقرية منتخية قوية عند أبي الطيب قد انكرت الجري على أساليب القوم

اذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم ؟!

فاختطت له تلك الخطة — لا قام دهره من تباع (أبي تمام) يأخذ بأخذه فلا يجاريه ، ويكد روحه في أن يصوغ كما يصوغ فلا يساويه ، وحبيب في صوغه وغوصه لا يلحق ، وقلما ضارع مقلد عظيماً مقلدا .

ولم يستطع المتنبي — على تبريزه وارتقائه — أن يزحزح (حبيباً) عن مكانته ، وما قدر الا أن يقعد في عرش الشعر معه ، وليس بقليل أن يقتطع من ملك حبيب ورعيته ما اقتطع .

وقد قالوا : أبو تمام عند الخاصة أشعر ، والمتنبي أشعر عند العامة ، وما أنصف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المتنبي هؤلاء القائلون ، ولئن كان لأبي تمام عشر قصائد علا بهن علواً كبيراً إن للمتنبي قدامها مئة[1] قصيدة .

وكان شيوخ ابن خلدون يرون — كما قال — أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء — الله أكبر ! — لأنهما لم يجريا على أساليب العرب .

وكلام هؤلاء الشيوخ (شفاهم الله) ليس بشيء الا شيئاً لا يعبأ به .

وتنكب المتنبي عما تنكب عنه ، وسلوكه السبيل الذي سلكه ، ما ضاراه بل ظاهراه في ابداعه ونبوغه ، فرأت العربية أكبر شاعر ، وظهر في العرب شاعرهم .

فدعْ كلّ صوت غير صوتي فانني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى .

محمد اسعاف النشاشيبي

من أعضاء المجمع العلمي العربي

---

(١) قال ابن قتيبة في (أدب الكتاب) في باب ما زيد في الكتاب : « ومائة زادوا فيها ألفاً ليفصلوا بينها وبين منه ألا ترى انك تقول : أخذت مائة وأخذت منه . فلو لم تكن الألف لالتبس على القارئ » ، قلت : زيدت الألف في مئة أيام لا اعجام وواجب في هذا الزمان حذفها حتى لا يضل القارئ اللافظ وكم أضلت هذه الألف ففتح الميم لافظ المئة ومد ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصواب اشتد واستد

سئلنا عن أية الكلمتين أصوب في قول الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فكتبت في الجواب ما يلي :

كتب اللغة مجمعة على أن (استد) تكون بمعنى (استقام) وقد استشهد على ذلك بالبيت المشهورة نسبته الى علي بن أبي طالب ، وهذا يدل ضمناً على صحة نسبة (الاستداد) بالسين الى الساعد، أما الاشتداد بالشين فلا خلاف في صحة اسناده اليه ، لكن في غير بيت الشعر المذكور ، وفي غير مقام الرماية بالنبال ، اذ ان المعاجم المذكورة كانت تقول عقب ذكر البيت ما نصه : قال الاصمعي : اشتد بالشين المعجمة ليس بشيء . وقوله : ليس بشيء ، أي في رواية هذا البيت ، فتكون الرواية في البيت إنما هي (استد) لا اشتد ، ويكون استعمال فعل (استد) واسناده الى الساعد في صدد الكلام على رمي النبال ، هو الافصح والاكثر موافقة لاستعمال بلغاء العرب ، هذا ما يفهم من عبارة الاصمعي ، ومع ذلك بقيت تائقاً الى نص في المعاجم يكون صريحا في اسناد (الاستداد) بالسين الى الساعد حتى وجدت الزمخشري يقول في أساس البلاغة : (وأسدّ واستد ساعده وتسدّد على الرمي استقام قال .

اعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني اه

وقائل هذا البيت أحد ثلاثة من شعراء العرب ليس فيهم علي بن ابي طالب وهم :

الاول : معن بن اوس قاله في ابن اخت له ، والثاني : مالك بن فهم قاله في ابنه سليمة ، والثالث : عقيل بن عُلّفه قاله في ابنه عميس .

«المغربي»

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

روح الطموح في المتنبي

منشأ الطموح

طردُ الهم او دفع الالم هو كما قال ابن حزم « مذهب اتفقت الامم كلها عليه فلا يعتمدون بسعيهم امراً سواه » لكن للنفس نزعات ورغبات تأتيها من طريق الشعور بالحاجة او بمايؤثر في ميولها من وراثة فتحاول طرد الهمّ بدفع ما يحول دونها . فالناشئ في سلف عزيز وخلف اعزة تنزع نفسه الى العز ، والنابت في منبت شهواني او سلف أَلِفَ الشهوات يحارب كل ما يحول بينه وبينها ليدفع عن نفسه الم حرمانها . وما طلب المالَ طالبه الا لطرد هم الفقر ، ولا رغب في الحياة راغبها إلا لدفع همّ الموت ، ولا ابتغى الصيت مبتغيه الا لطرد همّ الخمول ، ولا طلب المعالي من الامور إلا من يكره ان يستعلي عليه عالٍ .

الانسان روح واشد ما تكره الروح ان يستعلي عليها مستعل او يسيطر عليها مسيطر . ولكن هذه الروح قد تستخذي للقوة القاهرة اذا ضعفت عن مقاومتها فتخضع على كره منها وهي مفعمة هماً مملوءة كرباً ، فاذا طال عليها الأمد ، وهي خاضعة ، الفت الخضوع وعلى نسبة هذه الالفة يخف ألمها وينفرج كربها .

عزة النفس العربية

العرب امة نشأت على عزة النفس والاباء فرأت انها اعز الامم جاراً وامنعهم ذمارا واشرفهم محتدا واذكاهم عنصرا ، ثم تجاوزت الحدّ فرأت أن كلّ من عدا العرب اعاجم لا يدانون العرب منزلة ولا يوازنونهم كفاءة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فليس عجيباً والحال هذه ان يأنف النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على قرى الطف من تزويج ابنته من كسرى لما خطبها اليه فيقتله كسرى تحت ارجل الفيلة انتقاما من انفته . ولا ان ينتقم له العرب بوقعة ذي قار لانه ذهب شهيد الكبرياء العربية وفي سبيل صيانة الدم العربي .

وليس غريبا ان تعتصم ليلى بنت لكيز بعفتها ولا ترضى ان تكون في نساء كسرى لانها عربية وهو اعجمي . وهي بنت الصحراء او ربيبة البوادي واليفة المضارب ، وهو صاحب الدور المشيدة والصروح الممردة والملك العظيم والنعيم المقيم . لكنه مع هذا كله ليس بكفء لها لانها عربية وهو اعجمي .

هذه هي كبرياء العرب وطموح العرب ، فلا عجب اذاً ان نرى عربيا قحاً كابي الطيب ارتفع بذكائه وعلا اقرانه ببيان ساحر وقلب جريء وعزم ثاقب وعلم جم تهب عليه ريح الطموح وتطغى فيه روح التعاظم وهو العربي منبتاً ونسباً وادباً .

المتنبي عربي صحيح النسب

ضربت بعرق المتنبي دوحة يمان ، فهو من حيث ابوه جعفي من سعد العشيرة من مذحج ، وهو من حيث امه همداني وهمدان واسطة عقد العرب اليمانيين مجدا وشجاعة وسيد العرب بعد النبي المختار يقول فيهم :

ناديت همدانَ والابواب مغلقة ومثل همدان سنوا فتحة الباب
كالخندواني لم تفلل مضاربـه وجه جميل وقلب غير وجاّب

يقول ابوالحسن ابن ام شيبان : ان ابا الطيب كان جعفيا صحيح النسب ، ويقول ابوالحسن محمد بن يحيى العلوي الزبدي: ان والد المتنبي كان يقول انه من جعفي ، ثم قال وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها وكانت جارتنا ، وابو الطيب يقول على قلة اعتداده بمجد الآباء :

ومجدي يدل بني خندف على ان كل كريم يماني

ويقول :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف ان تسكن اللحم والعظما

فيدعي مثل هذه الكبيرة وينخر هذا الفخر ويبالغ في أنفة قومه هذه المبالغة فلا بد اذاً لهذه الدعوى من اصل في شرف آبائه . أما ان لا يكون لدعواه هذه أساس تبنى عليه هذه المبالغة فاني اراه غير مقبول في العادة ، والا فلم تركها له حساده والناعون عليه وما اكثرهم حوله وما احصاهم لكل دقيقة وجليلة عليه ! واذا لم يكن له اصل من شرف آبائه وهو مع ذلك يقول فيهم مثل هذا القول فكيف يسكتون عنه من هذه الناحية من فخره بعد ان طبلوا وزمروا في تنقصهم له ، وكل ما قالوه في نسبه ان اباه ويلقب بعيدان كان خامل الذكر فقيراً ومهما اشتد الفقر لا يكون مزريا بالاحساب والانساب ، وخمول الذكر مهما استحكم لا يكون ميزاناً لمجد الآباء وشرف العنصر ؛ واما ما جاء به بعض المخرفين عنه من انه انما افتخر بنفسه دون آبائه فلكي يسر وهناً في نسبه . فهو دليل لا يصح الركون اليه واذا كان المتنبي يقول :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

فانها سنة كبار النفوس ، وهذا عامر بن الطفيل العامري وهو من علمت مقامه في العرب حسباً ونسباً يقول:

وما سودتني عامر عن كلالة ابى الله ان اسمو بأم أو اب

اذا كانت نفس عصام سودت عصاما فليس معناه ان آباءه لم يكونوا ذوي سؤدد وسيادة بل هو على حد قول الفضل اللهبي الهاشمي الذي يقول :

لسنا وان أحسابنا كرمت يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبنى ونفعل مثلما فعلوا

على أن أبا الطيب قد استدرك ما قد يتوهم من قوله بل شرفوا بي بقوله بعده :

وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد

وليس عجيباً من ذي كبرياء وطموح مفرط كالمتنبي أن يقصد المعنى الذي اراده الشاعر :

وكم أب قد علا بابن ذُرى شرف كما علت برسول الله عدنان

إن المتنبي الكبير النفس المتجاوز حد التعاظم بمثل قوله :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فدع عنك تشبيهي بما وكأنه فما احد فوقي ولا أحد مثلي

والذي يقول :

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

يأبى أن يستند في فخره الى مجد عظامي ، وان كان شامخاً باذخاً ، ويريد أن يحقق بنفسه القاعدة المشهورة « المرء بجده لا بجده » على أن خمول ذكر والده وعدم مساعدة الزمان له على أن ينال مقاماً يعرف به لم يسلبه عبقرية صالحة جعلته يمتع نفسه بولده بما حرمت نفسه منه من علم وثقافة ، فسافر به الى الشام حيث الهواء العذي والماء الروي ، والادب ناشر أعلامه ، ومجالسه حافلة بالفحول من الشعراء وأعلام اللغة ، حيث منبت الطائيين اللذين انتهت اليهما زعامة الشعراء ، حيث موطن العتابي والنمري والسلمي وابن زرعة الدمشقي وغيرهم ، « حيث رزقت الشام ملوكا واسراء من آل حمدان وبني ورقاء ، وهم بقية العرب والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين السيف والقلم » ، حيث ملتقى أئمة اللغة ونحاريرها وفحول العربية وأساطينها أمثال ابن خالويه والفارسي .

يقول الثعالبي : سافر به أبوه الى الشام فلم يزل ينقله من باديتها الى حضرها ومن مدرها الى وبرها ويسلمه في المكاتب ويردده في القبائل ومخايله نواطق بالحسنى ، ضوامن النجح فيه حتى ترعرع وشعر وبرع »

المتنبي بعد موت أبيه

ما زال هم الطموح يعتلج في صدر أبي الطيب ويقد وهو منصرف الى مغالبة العوائق ، فعكف على التحصيل ، وكان كثيراً ما يغشى الوراقين يتزيد من دفاترهم علماً ، ويجهد نفسه في المطالعة واستظهار ما يروقه . وهو من جودة الحافظة وحضور الذهن في منزلة لا أدل عليها مما رواه بعض الوراقين ، وكان هذا في أول صباه من أنه حفظ كتابا للاصمعي يدخل في ثلاثين ورقة بنظره فيه نظرة واحدة ، فروى أيام العرب وتعمق في درس اللغة فقنص شواردها وتأنس أوابدها حتى بلغ من ذلك الغاية ، وحسبك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شهادة أبي علي الفارسي له لما سأله عن الجموع بوزان فِعلى واجابه أبو الطيب بلا توقف انها حجلى وظربى . يقول الفارسي انه قضى ثلاث ليال يراجع كتب اللغة فلم يجد لها ثالثا .

دعوته الى نفسه وجرأتها

ابو الطيب عربي خالص العروبة ، تفتحت عيناه على عز العرب وما هم فيهم من دولة ورأى ذوي المواهب يتسابقون فيها الى امتلاك زمام الامر والنهي ، هذا بهمته وجهوده وذاك بعصبيته وقومه ، وذلك بعلمه وثقافته . فليس غريبا أن تزداد روح الطموح فيه نشاطا وهو يرى أنه أعلى منهم ثقافة وأكبر همة وأعز نفسا ، فكيف لا يدفعه هم استعلائهم عليه بكل طريق بحسب القدرة من نفسه عليه .

وكأنه رأى أن اعلى مقام للسلطان هو الخلافة ، وهي فوق مقدوره لحاجتها الى بيعة شاملة او ولاية عهد مؤيدة ولكنها فرع النبوة وعلى النبوة قامت دعائمها ، والنبوة تبتدئ بالدعاية الفردية ثم تنتشر فيكثر حولها الانصار فتشتد فيعلو امرها . رأى ذلك وعنده من قوة الجنان وسحر البيان وفصاحة اللسان ما يخلب به ألباب الاعراب وكانت قد فشت في ذلك العصر بدع المتنبئين ودعوات الحلول وعليها قتل ابن الشلمغاني والحلاج وغيرهم وفشت دعوى القرامطة المبنية على مثل هذا الاساس .

فتخيل ان الزمان بؤاتيه حيث كانت الممالك فوضى بعد ان ضعفت الخلافة في بغداد واصبح كل امير مستقلا بعمله ، ففي البصرة ابن رائق ، وفي خوزستان البريدي ، وفي فارس عماد الدولة بن بويه ، وفي الري وأصفهان والجبل ركن الدولة بن بويه وابن زيار يتنازعان عليها ، وفي الموصل وديار بكر وربيعة ومضر بنو حمدان ، وفي مصر والشام الاخشيديون ، وفي المغرب وافر بقية الفاطميون ، وفي الاندلس عبد الرحمن الناصر الاموي ، وفي بلاد البحرين واليمامة القرامطة .

تخيّل هذا وهو من طموحه في غرور متجاوز الحد ، فحاول دعوى النبوة او انه أظهرها على اختلاف امهات الروايات في ذلك ، وقد رأيت ان ألم بها لاستجلي ما يتراءى لي من تحقيق فيها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال علي بن المحسن التنوخي عن ابيه عن ابي الحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي : « كان المتنبي لما خرج الى كلب واقام فيهم ادعى انه علوي ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين، وحبس دهراً طويلا واشرف على القتل ، ثم استتيب واطلق(١) وهذه الرواية تصلح بادعائه العلوية ، وان حبسه كان طويلا ، لاقى فيه العذاب واشرف على القتل ولكنها لا تقول بأنه اجتمع عليه احد وبنو كلب بارض نخلة وهي بلدة في بعلبك على ثلاثة اميال منها ، ولعلها نخلة بالهاء المهملة ، المعروفة اليوم في بعلبك ، ويدل على إقامته في هذه القرية قوله :

ما مقامي بأرض نخلة الا كمقام المسيح بين اليهود

قال العكبري في شرح هذا البيت : دار نخلة على ثلاثة أميال من بعلبك وهي قرية لبني كلب .

وروى التنوخي عن أبيه عن أبي علي بن ابي حامد قال : سمعت خلقاً بحلب يحكون — وابو الطيب المتنبي بها اذ ذاك — انه تنبأ ببادية السماوة ونواحيها الى أن خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وانفره وشرد من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب وحبسه في السجن حبساً طويلا فاعتل وكاد أن يتلف حتى سئل في أمره فاستتابه . ثم قال : وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن منزل (١) .

وهذه الرواية تقول إنها سمعت بحلب وجاءت بها بلفظ (ويحكون) وانها حكيت وابو الطيب في حلب اذ ذاك اي في زمن سيف الدولة وبعد نيف وعشرين عاماً من خروجه وهي لا تتعرض لدعوى العلوية ، بل تقول إنه اظهر النبوة وتبعه خلق من قبائل شتى اجتمعوا عليه وان الذي خرج اليه وحبسه واستتابه هو لؤلؤ الاخشيدي

وقال الثعالبي « وقد بلغ من كبر نفسه وبعد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من رائشي نبله على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له أمر دعوته ، تأدى خبره الى والي البلدة ، ورفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده (٢) »

(١) تاريخ بغداد للخطيب م ٤ ص ١٠٤ (٢) يتيمة الدهر م ١ ص ٧٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويحكى انه تنبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه ، وحكى ابو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت ابا الطيب يقول إنما لقبت بالمتنبي لقولي :

انا ترب الندى ورب القوافي وسهام العدى وغيظ الحسود
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود (١)

وروايتا الثعالبي هاتان تدل اولاهما على انه دعا الى بيعته ولم تصرح بان البيعة كانت للنبوة او للولاية . وعلى انه قبل ان تتم دعوته حبسه الوالي وانه كان هم بالخروج اي انه هم ولم يفعل ، فهو اذاً على هذا لم يخرج فعلا .

وجاء الثعالبي في الثانية بلفظ (ويحكي) مما يدل على توهين امرها وزاد في المتوهمين تعقيبه لها بما رواه ابن جني عن المتنبي نفسه في سبب تلقيبه بالمتنبي وفوق ما رواه ابن جني تنصّل ابي الطيب من دعوى التنبؤ والقرآن المزعوم ، فقد روى التنوخي عن ابيه ان المتنبي كان اذا شوغب في مجلس سيف الدولة ونحن اذ ذاك بحلب نذكر له هذا القران وامثاله مما يحكى عنه فينكره ويجحده ويقول انا لست ارضى ان ادعى بهذا (اي بالمتنبي) وانما يدعوني به من يريد الغض مني .

فالمتفق عليه اذاً من هذه الاحاديث انه حاول الخروج على السلطان وانه حبس في ذلك حبساً طويلا حتى كاد يتلف وانه استتيب واطلق ، وهذه الروايات انما هي عن اقرب المؤرخين اليه عصرا فالخطيب البغدادي ولد سنة ٣٩٢ والثعالبي ولد في حياة المتنبي سنة ٣٥٠ والظاهر ان اعتماد من تأخر عنهما في حديث المتنبي كان عليهما ، ويظهر من التدقيق في نص هذه الروايات ان القول بانه هم بالخروج وانه خرج في طلب امارة هو اقرب الى الصواب من انه تنبأ واجتمع عليه جماعة من قبائل شتى ومن انه اظهر قرآنا لان الرواية التي تقول هذا لم تخلُ من كلمات تحفظ مثل اسنادها الى الحكاية ومثل ان الرواية كانت بحلب وابو الطيب اذ ذاك بها بخلاف الرواية الاولى التي ارسلت كأنها حقيقة » وانت تعلم ان ابا الطيب في حلب زمن سيف الدولة كان يستغيث من كيد حساده وقوة بأسهم وشدتهم في الغض منه والحط من شأنه فيقول له :

(١) اليتيمة م ١ ص ٨٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ازل حسد الحساد عني بكبتهم فانت الذي صيرتهم لي حسّدا

اولئك الذين اخرجوه من حلب مغاضباً سيف الدولة لانه لم ينتصر له منهم على شدة حبه له وحنينه اليه بعد فراقه ، ويحكى عن بعضهم انه مات حسدا لابي الطيب وحنقا منه

وفي الصبح المنبي رواية اخرى غير ما تقدم وهي ان المتنبي خرج بارض سلمية من اعمال حمص في بني عدي وان الذي قبض عليه هو ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها كوتكين وانه امر النجار ان يجعل في رجليه قرمتين من خشب الصفصاف وان المتنبي قال في ذلك :

زعيم المقيم بكوتكين بانه من آل هاشم بن عبد مناف
مذ صرت في ابياتهم متنبأً صارت قيودهم من الصفصاف

وانه كتب الى الوالي من السجن يستعطفه بقوله :

ان يكن قبل ان رأيتك اخطأ ت فاني على يديك اتوبُ
عائب عابني لديك ومنه خلقت في ذوي العيوب العيوب

وظاهر هذه الرواية ان الذي قبض عليه وحبسه ثم تاب على يديه هو ابن علي الهاشمي ، وان خروجه كان بأرض سلمية في بني عدي

دفاعه عن نفسه وهو في السجن

هذه هي الروايات المختلفة في ما رمي به المتنبي ، فلنرجع في التحقيق الى مايقوله هو في دفاعه هذه التهمة ونستخرج من قصيدته التي أرسلها من سجنه الى الوالي (لائحته الدفاعية) التي يستحق عليها اجازة كلية (ليسانس) فهو يقول :

وقيل عدوت على العالمين بين ولادي وبين القعود
فما لك تقبل زور الكلا م وقدرُ الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعنّ من الكاشحين ولا تعبأن بمحك اليهود
وكن فارقا بين دعوى ارد ت ودعوى فعلت بشاو بعيد
تعجل فيّ وجوب الحدود وعندي قبل وجوب السجود
وفي جود كفيك ماجدت لي بنفسي ولو كنت أشقى ثمود

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان أبا الطيب قلب الدفاع في أبياته هذه على وجوه :

الأول : أن يقابل الدعوى بإنكارها من أساسها بقوله فما لك تقبل زور الكلام .

الثاني : أن يرد شهادة الشهود بجرحه لهم لانهم سفلة سقاط ذوو محك كمحك اليهود بقوله : وقدر الشهادة قدر الشهود . وقوله : ولا تسمعن من الكاشحين .

الثالث : على فرض قبول شهادتهم وعدم قبول هذا الجرح فان شهادتهم جاءت على أنني أردت لا على أنني فعلت ، والحد والعقاب لا يجبان على معتقد الجرم ما لم يفعله فاذا هو فعله استحق العقاب على الفعل ، وأنا لم أفعل فلا عقاب علي . وذلك في قوله : وكن فارقاً بين دعوى أردت .

الرابع : وعلى فرض رد ذلك كله ، فانما تجب الحدود على البالغ وأنا صبي لم أبلغ الحلم ولم تجب علي الصلاة ، فكيف يحكم علي بالعقاب ، والعقاب فرع التكليف ، وأنا لم أكلف فلا عقاب علي . وفي ذلك يقول : تعجل في وجوب الحدود .

الخامس : وعلى فرض الاعراض عن كل ما جئت به من وجوه الدفاع ، فانني أطلب العفو والصفح وهذا آخر ما يطلبه المحكوم عليه وهو قوله : وفي جود كفيك ما جدت لي

ويظهر من هذا أن التهمة وجهت اليه وهو دون سن البلوغ أي دون سن الخامسة عشرة من عمره ، وهي السن التي يقع معها التكليف ، أو كان حواليها على فرض المبالغة ، وفي تفننه في وجوه الدفاع بل في إنكاره التهمة من أساسها ما يدل على أنه ما ادعي عليه به من التنبؤ لم يكن على حد التواتر ، ولو انتشرت دعوته واجتمع عليه جماعة من قبائل شتى لكانت لاجلها متواترة ، وكان مثل هذا الدفاع ومثل هذا الانكار مكابرة ومماحكة وهراء من القول فكيف يتسنى لأبي الطيب حينئذ أن ينكرها من أساسها بل كيف يتسنى لمثل أبي العلاء المعري وهو أقرب الناس الى زمانه وأكثرهم معرفة به واعجابا أن يشكك فيها ؟

عن الذي سجنه

بقي الكلام في اسم الوالي الذي قبض عليه وسجنه ثم استتابه وفي هذه القصيدة من صفات الوالي ما يدل عليه ، وقد سمعت مما تقدم أنه أحد الرجلين : لؤلؤ الاخشيدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أو ابن علي الهاشمي . يقول أبو الطيب :

فمن كالامير ابن بنت الامير ... أم من كآبائه والجدود
رمى حلبا بنواحي الخيول ... وسمر يُرقن دماً في الصعيد
فولى باتباعه الخرشني ... كشاء أحس بزأر الأسود

قالوا لي إذاً هو أمير ابن بنت أمير له آباء وجدود يفتخر بهم ، وليس للؤلؤ مثل هذه الصفات لا حقيقة ولا ادعاء فكونه ابن علي الهاشمي أقرب الى التحقيق . ويدل قوله : رمى حلبا بنواحي الخيول انه قاد الجيوش الى حلب ، ولم تكن يومئذ حرب بين حلب وحمص ، فهو اذاً قد ساقها لنصرتها لا لحربها وذلك فيما وراء حلب لقتال الروم بدليل قوله فولى باتباعه الخرشني ، وليس الخرشني الا الدمستق صاحب عسكر الروم شرقي القسطنطينية وكانت له حرب مع هذه البلاد في سنة ٣١٩ وعمر أبو الطيب يومئذ ست عشرة سنة ، وأرجح أن متولي كبر الكراهية في هذه الحرب بنو حمدان أمراء الموصل ، لان حفظ ثغور الروم كان مفوضاً اليهم من خليفة بغداد ، ولم يكن الاخشيديون يوماً من الايام مناصرين للحمدانيين .

بعد السجن

قال ياقوت « ولم يزل (المتنبي) بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بأبي العشائر (ابن حمدان) ومدحه وعرف منزلته ، وكان والي أنطاكية من قبل سيف الدولة ، ولما قدم سيف الدولة أنطاكية قدّم المتنبي اليه وأثنى عليه عنده ، وعرفه منزلته من الشعر والادب » وسيف الدولة ملك حلب سنة ٣٣٣ هـ وعرفه سيف الدولة منذ قدّمه أبو العشائر كما هو ظاهر قول ياقوت سنة ٣٣٧ فتكون المدة بين خروجه من السجن واتصاله بسيف الدولة حوالي سبعة عشر عاماً .

وما زال أبو الطيب في ضنك عيش وسوء حال بعد خروجه من السجن يدفع هم الفقر بطرق أبواب الامراء والولاة ، فلا يجد عندهم الا خسيس العيش ولم ترفعه صلاتهم الى أن يستبدل بنعليه مركوبا ولا برجليه راحلة فيقول يومئذ :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا ... بالسوط يوم الرهان أجهدها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شراكها كورها ومشفرها زمامها والشسوع مقودها

ويقول :

ومهمهٍ جبته على قدمي تعجز عنه المراسس الذلل
في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد عن أختها بدل

ويقول في قصيدته الدينارية :

اظمتني الدنيا فلما جئتها مستمطراً مطرت علي مصائبا
وحُبيت من خوص الركاب بأسود من دارش فغدوت امشي راكبا

فكان من جملة مصائبه ان يفرغ الى علي بن منصور الحاجب من جور زمانه ويمدحه بمثل هذه القصيدة الغراء فيجيزه عليها ديناراً واحداً . وكأنه أراد أن يمن عليه بهذا الدينار ليشتري به بدلا من حذائه الذي قطعه في المشي اليه .

ويقول المتنبي في قلة الجدوى :

لُم الليالي التي اخنت على جدتي برقة الحال واعذرني ولا تلم
ارى اناساً ومحصولي على غنم وذكر جود ومحصولي على الكلم

والظاهر ان أول من اتصل به من الرؤساء هو ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي فان معاذاً يقول : انه جاء اليه في سنة ٣٢٠ ولا عذار له وله وفرة جميلة . وارجح ان اتصاله بمعاذ اذا صح أنه كان سنة ٣٢٠ كان بعد خروجه من السجن ، لانه لما كان في السجن بدعوى الخروج (ولم يعلم انه سجن قبلها او بعدها) كان في الخامسة عشرة او حواليها . واما ما جاء في حديث معاذ من انه مخرق له واغواه بضرب من السحر تعلمه من اليمن ، وان معاذاً رجع عن الغواية به لما علم أن ما جرى منه كان قد تعلمه من اليمن بعد أن سأله هل دخلت السكون ؟ فأجابه المتنبي نعم أما سمعت قولي :

امنسيّ السكون وحضرموتا ووالدتي وكندة والسبيعا

فهو ظاهر الوضع لان البيت المذكور هو من قصيدة مدح بها المتنبي عليّ بن ابراهيم التنوخي سنة ٣٢٣ على أنه لم يرو أن المتنبي دخل اليمن وما السكون وحضرموت وكندة في البيت الا أسماء محال بالكوفة قال ذلك شراح ديوانه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قضى أبو الطيب ثلاث عشرة سنة بين اللاذقية ومنبج وطرابلس وطبريا والرملة وغيرها من البلاد لا يروي ظمأه الى المعالي ولا يبلغ آماله من المال ، وكان في تلك الحال السيئة يقول :

اذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعداً فقم واطلب الشيء الذي يبتر العمرا
هما خلتان : ثروة أو منية لعلك أن تبقى بواحدة ذكرا

وما زالت هذه حاله حتى نعم بكرم أبي العشائر ، فاستيقظت مع الرخاء ونعمة العيش روح كبريائه ، ولما أراده سيف الدولة لصحبته لم يجبه أبو الطيب الا على شرط أن لا ينشده قائماً ، وأن لا يقبل الارض بين يديه كما كانت سنة الشعراء مع الملوك والامراء يومئذ ، وقبل سيف الدولة شرطه حرصاً على الاستئثار بفرائده وقلائده الخالدة على الدهر ، وهذه الميزة لم يعطها سيف الدولة لاحد ممن كان في حضرته من الشعراء غير أبي الطيب ، ولما أنشده أول قصيدة مدحه بها وقال في مطلعها « وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه » اعترضه ابن خالويه وكان حاضراً ، فقال لابي الطيب أتقول أشجاه وانما هو شجاه فقال أبو الطيب له (اسكت ليس هذا من علمك انما هو اسم لافعل) وابن خالويه من أئمة العربية يجيبه أبو الطيب بمثل هذه الغلطة لانه انتصر عليه وهو من الاعتداد بنفسه وبعلمه بالمحل الذي علمت .

ولعل هذا التعاظم من أبي الطيب على ابن خالويه كان أساساً للتعادي بينهما الذي انتهى أمره بأن ضربه ابن خالويه بمفتاح من حديد على وجهه في حضرة سيف الدولة فأدماه .

توالت نعم سيف الدولة على أبي الطيب فاستبدل بالاسود الدارش افراساً نعالها من عسجد وترك السرى وقطع القفار لمن قل ماله وأصبح يقول :

في الشرق والغرب أقوام نحبهم فبلغاهم وكونا أبلغ الرسل
وخبراهم بأني في مكارمه أقلب الطرف بين الخيل والخول

ولكن أبا الطيب لم يجد بعد هذا كله قيد الاحسان يقيده في ذرى سيف الدولة كما زعم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شهرته الطائرة في شعره وأثرها في طموحه وكبريائه

يقول صاحب المثل السائر « وأما المتنبي فقد شغلت به الالسن وسهرت في أشعاره الاعين وكثر الناسخ لشعره والغائص في بحره والمقتبس من جمانه ودره » وانما شهرة أبي الطيب انما نمت وعمت منذ اتصل بسيف الدولة فأكثر هذا حساده بكثرة انعامه عليه وبما رفع من منزلة لديه .

نشطت روح الطموح في أبي الطيب بعد أن سار ذكره في الأقطار مسير الشمس وتناقل شعره البدو والحضر وعمرت به أندية الادب ، واستعان بألفاظه ومعانيه جمهور الكتاب حتى من كان شديد الكره له عظيم النعمة عليه كالصاحب بن عباد

ويقول ابن العميد وقد ماتت أخته (انه ليغيظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمد ذكره ، فقد ورد علي نيف وستون كتاباً في التعزية ، ما منهم الا وقد صدر كتابه بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاء نبي بخبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فكيف السبيل الى إخماد ذكره ، وهذان البيتان من قصيدة أنفذها أبو الطيب الى سيف الدولة في رثاء أخته سنة ٣٥٢ وكان اتصال أبي الطيب بابن العميد سنة ٣٥٤ ولا ريب أن غيظ ابن العميد منه كان قبل أن يقدم عليه ، فلا يكون اذاً بين نظم القصيدة وانتشارها بين المتأدبين والكتاب في كل البلاد حتى استفتح بأبياتها هذا العدد الجم من أدباء الاقطار المختلفة ، الا عام وبعض عام ، على تباعد الأقطار وصعوبة الأسفار .

وجاء في الصبح المنبي عن بعض أئمة الادب أن رجلا من مدينة السلام كان كلما دخل بلداً يسمع فيه ذكر أبي الطيب يرحل عنه حتى وصل أقصى بلاد الترك فسأل عن أبي الطيب فلم يعرفوه ، فتوطنها فلما كان يوم الجمعة ذهب الى صلاتها بالجامع فسمع الخطيب ينشد بعد ما ذكر أسماء الله الحسنى :

أسامياً لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فرجع الى دار السلام .

فلا عجب إذاً لرجل ملأ ذكره الاسماع وشغل الدنيا كما يقول ابن رشيق أن يزداد كبرا وتعاظماً ويقول لسيف الدولة :

انا في أنشدت شعراً فانما بشعري أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فانني انا الصائح المحكي والآخر الصدا
وما الدهر إلا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

وان يترفع بعد هذا عن مدح غير الملوك وأعيان الزمان ، فلم يجب دعوة الصاحب ابن عباد مع ما يذله هذا من الجهود لاستقدامه اليه . فيقول ابو الطيب فيه (ان غلياً معطاء بالري ، يريد أن أزوره وأمدحه ولا سبيل الى ذلك) علم أنه معطاء يسني الجوائز ، فلم يستمله ذلك اليه لانه استغنى ، فلم يفعل ما كان يفعله أيام بؤسه لغلبة عزة النفس والكبرياء عليه ، وقد أثار اعراضه هذا حفيظة الصاحب ، فاتخذه غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته وهو أعرف الناس بحسناته وأكثرهم حفظاً لها وتمثلا بها في محاضراته ومكاتباته (١) وأعرض عن الوزير المهلبي وزير الدولة البويهية في بغداد حتى أغرى هذا به حساده من شعراء العراق كابن حجاج وابن سكرة الهاشمي والحاتمي وغيرهم ، فنالوا من عرضه وتبارزوا في هجائه وتماجنوا وتنادروا عليه . ولما قيل له في ذلك لم يزد على قوله : فرغت من اجابتهم بقولي في من هم ارفع طبقة في الشعر منهم .

ارى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وخشي ابن العميد وزير ركن الدولة ابن بويه وزعيم الحضرة والمقيم بصالح المملكة في ارّجان ، وهو على أشد ما يكون من الرغبة في لقائه واستقدامه اليه ، أن يعرض

(١) اليتيمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عنه كما اعرض عن زميله المهلبي في بغداد، فغري بذمه وانتقاده ، حتى اذا جاءه ابو الطيب مراغما للمهلبي ، فتح له ابن العميد صدره واجزل ثوابه واحسن وفادته ، وسل ما كان في نفسه عليه من موجدة . وانف ابو الطيب من مدح ابن حنزابة وزير كافور والمقرب منه ، وهو من بيت شريف اهل وزارة ورياسة ، ومن الأدب والعلم بموضع جليل . فأفسد هذا عليه كافوراً بما كان يقبح اثره عنده ، وبما كان ينبه على مغامزة في مديحه له حتى خرج ابو الطيب من مصر خائفاً يترقب واتخذ الليل جملا وهرب .

روح ابي الطيب في الإباء قوية ؛ لكن طمعه في الولاية ولذة الامر والنهي والاستعلاء وافراطه في هذا الطمع غطى على هذا الإباء في بعض المواقف ، فاستقاد واستذل ، والا فما معنى قوله في كافور بعد ان ترك سيف الدولة :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت به انسان عين زمانه وخلت سواداً خلفها ومآقيا

* * *

فأصبح فوق العالمين هرونه وان كان يدنيه التكرم نائيا

ويقول فيه :

واخلاق كافور اذا شئت مدحه وان لم تشأ تملي عليّ فأكتب
فتى يملأ الأفعال رأياً وحكمة وبادرة ابان يرضي ويغضب

يقول هذا وكثيراً مثله فيه وهو العبد الزنيم الذي اذنه في يد النخاس دامية وقدره وهو بالفلسين مردود ، ويقبل منه مالم يقبله من سيف الدولة فيخضع للانشاد بحضرته فائماً وهو يعلم ان الفرق بين سيف الدوله وكافور علماً وادبا ونسباً وشرفاً ونوالا ، كالفرق بين الدرة والبعرة لا يقاس بحد ، وما كان كل ذلك الا طمعاً في الولاية، ولعله طمع في خداع هذا الاسود بما يحسبه من ضعف العقل في السودان فازداد في تملقه اذ يقول له ولم يفتأ يذكر الولاية :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يضاحك في ذا العيد كلُّ حبيبه حذائي وابكي من احب واندب
احن الى اهلي واهوى لقاءهم واني من المشتاق عنقاء مغرب
فان لم يكن الا ابو المسك ادهم فانك احلى في فؤادي واعذب

وليس هذا ملق كاذب ان يجعل الاسود الذي مشفره نصفه احلى في فؤاده واعذب من اهله الذين يحن اليهم هذا الحنين ويهوى لقاءهم كما ترى.

أحمد رضا

عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المهرجان الالفي

لأبي الطيب المتنبي

أمن النجوم نظمتهن قصائدا ... يفنى الزمان وما برحن خوالدا
إن الذي يهب الخلود قريضه ... لهو الجدير بأن يكون الخالدا
سيرتهن وأي جيد عاطل ... ما كن فيه زينة وقلائدا
عمرت بهن محافل الادب التي ... لولا بدائعهن كن هوامدا
في كل عصر هن آي بيانه ... وبكل عصر ما برحن فرائدا
أتعبت كل الشاعرين فقصروا ... وبذذتهم طراً وكنت الواردا
حاموا حوالي حوضه ظمأى وقد ... صدروا على ظمأ وكنت الواردا
لكأن شعرك للعصور جميعها ... ماضره أن كان شخصك بائدا
وكأن ما بين النفوس وبينه ... صلة ولم يك غير ذكرك عائدا
وكأنما قد كنت في ندواته ... معمورة في كل عصر شاهدا
عبدوه واتخذوا روائعه التي ... ذهبت بمعجزة البيان معابدا
طوراً تناجي القلب فيه وتارة ... للعقل تنصبه صوىً ومراشدا
لو رد عصر الجاهلية ما ثنى ... شعراؤه إلا اليك وسائدا
ولبايعوا لك بالإمارة واغتدى ... ضليلهم لمناة شعرك ساجدا
وعكاظهم بسواه لم تعمر لها ... سوق وأصبح كل شعر كاسدا
لغة البيان به تدل وتنثني ... تيها فتكبت حاسداً أو جاحدا
بك لم تزل يابن الحسين فخورة ... اذ كنت فيه عن حماها ذائدا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكم لها آنست من وحشية فيه وكم قيدت فيه أوابدا
من كل رائعة المحاسن حرة عزت فلم تر في الزمان ندائدا
لكأنما من سدرة لك وحيها أوحى فلم تر راجماً أو ماردا
جاءت كما تهوى تزين قلائدا وأساوراً ووشائحاً ومجاسدا
تختال بالمعنى الدقيق يزينه اللفظ الأنيق كما تزين ولائدا
جمعت الى متع الحضارة عزة م البادين أسداً في الفلا وأساودا
تهب السكارى وهي سكرى صحوهم واذا صحت تدع الصحاة عرابدا
واذا نسبت بها تركت كثيراً يلقي اليك من النسيب مقاودا
واذا مدحت غدت قلائد صاغها م الطائي في سوق المديح كواسدا
واذا وصفت فما تركت لواصف الا كمن يصطاد طيفاً شاردا
والغائبات اذا نفذت بسرها وصفا يراها السامعون مشاهدا

* * *

قالوا ادعيت نبوة ولكم على دعوى النبوة زوّروا لك شاهدا
جهلاً ملفقة يرون عوارها لو ان فيهم للجواهر ناقدا
واذا ادعيت نبوة فلقد نسخت بها القريض وما نسخت عقائدا
ما زلت فيه مجلياً في السبق لم يتعب مدى حلباته لك ناهدا
ان كان مرماه البعيد عليهم فعليك كان وما يزال القاصدا
ما كنت فيه تسف أسفاف الألى تخذوه للغرض الحقير مقاصدا
ولكم تنور شاعر لك جذوة فسرى فلم يرَ قابساً أو واقدا
لكن ذهبت بنورها وبنارها وله تركت اثافيا ومواقدا
فلها ولكن بالرماد ولم تدع للمصطلي الا خسيساً عاردا
ما كان قيد الهاشمي بمخمد لك من جذا نار الطموح زنائدا
قيد من الصفصاف لم يك موهناً منك الطموح ولا لعزمك خاضدا
ما كنت واهن حجة مما رموك به وعن نهج الحقيقة حائدا

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ارخى ابن عمار عزالي جوده لك مذ تفرس نجم سعدك صاعدا
الفاك عيناً للعروبة مثلما الفيته عونا لها ومساعدا
فحططت رحلك في رحيب فنائه من بعد ما جبت البسيطة رائدا
اجربت في الاردن بحراً غامرا فامد منها بحرها المتراكدا
قد راع وصفك قتله اسدا بها اسداً يراها الفيل او مستأسدا
ورحلت عنه وما أصبت أمانيا بل قد أصبت اعاديا وحواسدا

* * *

وأبو العشائر زان فيك مناصباً عدوية ومحافلا ومحاشدا
وحللت أنطاكية فاحتل شعرك من ذراه الشامخ المتصاعدا
وفتنته بالفاتنات بحسنها متنسكاً في قومه أو عابدا

* * *

ان كان سيف الدولة استصفاك من دون الورى خلاً وفياً ماجدا
وحباك منه عوائداً فلأنت قد كافأته وعليه زدت عوائدا
كانت له غرر القريض كتائباً كم حل فيها للحصون معاقدا
كانت على الروم الشداد صواعقاً وعلى عداه بوارقاً ورواعدا
ولبأسه صيرت كل متوج منهم وان كانوا الملوك أعابدا
خلدته في الخالدين فلم يزل ولئن تغيب في المقابر شاهدا
موصولة ذكراك في ذكراه ان تهجره أو يهجرك لم يك حاقدا
ادناكما الميلاد وهو اخوة والفضل إن تكن الاصول اباعدا
جمعتكما الآداب حتى كنتما كالفرقدين مناقباً ومحامدا
ما غض من غلواء نفسك حيث لم تسمعه شعرك فيه الا قاعدا
ان لم يلدك أبوه او لم يقترب نسباكما فالفضل كان الوالدا
لا بدع أن من التشاكل نسبة ومن التشابه في الخلال موالدا

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم تنأ عن حلب لمصر مؤثراً مصراً على حلب وعنه حائدا
كلا ولم تعدل بـه كافورهـا ان جئته ببديع شعرك وافدا
كلا ولم يك ما زعمت البحر تز جي عيسك الظمأى اليه قواصدا
لكنما شاء الزمان بأن يحو م ل رغد عيشكما النضير مناكدا
فارقته لا واجـداً لكنما خلفت قلباً في هواه واجـدا
غادرتما جفن العروبة ساهدا وكلاكما يرعى الكواكب ساهدا
يبكي كما تبكي زمانا حافلا بمواكب النعمى وعيشاً باردا
لم يلف سيف الدولة الدنيا وقد فارقته الا نعيماً بائـدا
وكلاكما وجـد الحياة ذميمةً من بعد صاحبه وظـلا نافدا
وكلاكما في لجة من همـه يمسي ويصبح للهموم مكابدا
وكلاكما هيهات يرحب صدره للمطربات ويستلين مراقدا
أنى التفت فنصب عينك ماثل وخياله لك ما يزال معاودا
وعلى قريضك هزة من عهده وهواه ان تك راضياً او حاردا
ولأنت بالذكرى لديه حاضر ولئن قطعت تهائماً ونجائدا
اضحت رياحكما وكم رقت بهـا آصال عيشكما الهنيّ رواكدا
لم تلتمس في كوفة الجند الهنا من بعده وبأرض فارس رافدا
فرحلت رحلة آيس منها وما أدركت آمالا بهـا ومقاصدا
وذهبت جواب البلاد ولم تكن الا لهمك في طوافك طاردا
آلى طموحك أن تظل ولا ترى عونا بدهرك للطموح مرافدا

* * *

لم تلف كافوراً وان لك أسبغ النعماء الا ممسك اليد جامدا
فارقته وتركت فيه لواذعاً ولئن تكن سميتهن قصائدا
وذممت مصر وأهلهـا لما رأيـتَ الأسود الزنجي فيها سائدا
وهو الذي ما نلتَ منه مطمحا بالملك بل لك عنه راح مراودا
واذا فتى حمدان لم يبلغك ما ترجو فهل هو فيه كان الجائدا ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واراك صدر الليل لكن بعد ما فيه تركت لظلمتيه أساودا
ولئن نبت بغداد عنك فلم تجد فيها فتى عن حوض مجدك ذائدا
لم تلف آساداً بها وكأنها للعرب لم تك في الزمان مآسدا
او لم تجد من أهلها خصب القرى وأكارماً الفوا القرى وأماجدا
او لم تجد الا حسوداً منهم او قالياً أو هاجياً أو كائدا
فلكم نبت بنبيّ قوم داره ولو انهم رشدوا أصابوا الراشدا
ومحمد أقصت قضي داره لكن بيثرب كم أصاب مجاهدا
ما كنت الا صخرة الوادي ومن زهر النجوم الثاقبات عطاردا
فارفقْ بهم ان حل فيك عقوقهم فلكم ترى ولداً يعق الوالدا
ورحلت لا متلفتاً لزعانف ملئت صدورهم عليك حقائدا
ترعى لسيف الدولة العهد الذي ما بؤت فيه مقاربا ومباعدا
لوددت أن يحوي العراق وان ترى عزماته للرافدين روافدا
وعليه يبسط ظافراً سلطانه ويزيل عنه أجانباً وأباعدا
ولانت بالتغريد في أفنانه ملءُ الغصون موائساً وموائدا
تُهدي اليه كل يوم حرة كملت محاسنها وبكراً ناهدا

* * *

لم ترض عن حلب وعن سيف بها بدلا وقد يممت فارس قاصدا
لكنما ضاقت بك الدنيا فلم تك ترتضي منها مكاناً واحدا
لكأن شعرك كان في تيجانهم لماعة خرزاتهن خرائدا
لم تلتمس منهم الى العربي من عضد وهل تُلفي بفارس عاضدا
لم تنسك العهدَ الوفيّ جوائز وقرت جياداً جمة وجلاعدا

* * *

ما أبن العميد وان رعى لك حرمة أنساك في حلب القصور اللابدا
في حيث لم تكذب مخايل جوده والخصب في ساحاته لك رائدا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في حيث يخلع بردتيه عليكما عهد الشباب ولا يخون مواعدا
في حيث شعرك إنْ تحرك هزة للأريحية منه تطرب آمدا
في حيث يغمد في الطلى أسيافه وسوى الطلى لم يتخذن مغامدا
في حيث فيلقه يدك معاقلا للروم تهزأ بالنجوم صواعدا
في حيث سيف الدولة السامي الذرا تلقي لمخذمه الفتوح مقالدا
في حيث مجد العرب خفاق اللوى يحمي الرعية مسلما ومعاهدا

* * *

من خال يوماً أن بيت فاتك لكْ فتكة ويريش سهماً صاردا
فيصيبُ حين أصاب قلبك مهجة م الفصحى ويهدم للبيان قواعدا
ولو أنه العربي حقاً لم يدع فصحى اللغات عليك ثكلى فاقدا
لم يأس للعذراء ترقب فيك من افق البعاد شهاب فضل واقدا
فيحيل رونقَ خدها وصفاءه وراؤه بادي الكآبة كامدا
أيخيف سربك في مرابع امنه وربوعُ أمنك لا تقيك شدائدا
غالت بقيمتك الورى والغبن أن يمسي العراق بها جهولا زاهدا
والغبن أن لا يحتفي بك موطن بك قد رقى يابن الحسين فراقدا
والغبن أنْ لا تحتوي العذراء منـ ـك وقد نزلت بها العظام بوائدا
وبها غدوت مضيعا حيا كما قد ضيعت لك في الممات ملاحدا

* * *

يابن الحسين ، وتلك دعوة عارف الفاك هاما للفخار وساعدا
ان لم يثر دمك الحرام مضيعاً لكْ ثائرا من قومه أو ناشدا
فلكم دم زاك هناك مضيع ترك العيون الى القيام سواهدا
فاذهب فليس عليك قط غضاضة انْ لم تدع سمر الرماح قواصدا

* * *

من خال سيف الدولة المشهور ما ينفك في جفنيه بعدك راقدا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبشيمه عن أخذ ثارك وهو لم ... يثلم له طول القراع حسائدا
أم أن فتكة فاتك بك لم تهج ... منه هصوراً في العواصم راصدا
أم أنه قد كان عنه عاجزا ... وهو الذي يرقى المجرة قاعدا
أتروع من في الروم سطوة جيشه ... ومن الفرات فليس يدرك واحدا
وهو الذي هز البسيطة زحفه ... وحشا ثراها بالرقاق بواردا
أم أنه لم يرع عهدك وهو ما ... ينفك يحوي السؤدد المترافدا
سرٌّ ولكن لم نجد حلا له ... ولكم بصدر الغيب سرا راكدا

* * *

اتلوح ، احمدُ ، كوكبا بسما الدنا ... وبأفقه العربيّ يمسي خامدا
لا تبتئس فالدهر من عاداته ... ان يخمل الحر الكريم الماجدا
يا رمز أمة يعرب ومنبّها ... من صيدها وسنان طرف هاجدا
عرفتك مينا بعد ما ردت لها ... أيامها ما كان عنها شاردا
ذكرتك ذكرى مجدها ولطالما ... نافحت عنه طارفا أو تالدا
ردت حياتك بعد الف فالتفت ... هل تلفي الا باسم حمدك حامدا
ما الف عام قد طوتك ونيف ... طيّ التجار طرائفا ونضائدا
واذا استطاعت أن تمد اليك من ... سود الخطوب حبائلا ومصايدا
واذا سنوها غيبت لك في الثرى ... رمسا فما إن منك ابلت خالدا
ولكم خفيّ في النجوم وكم له ... نصبوا ليستجلوا سناه مراصدا
اخفوه في الارض الفضاء ليملأوا ... من عرف رياه فلاً وفدافدا

* * *

أأبا المحسد ، هل تجيب مشككا ... ما زال عنك مسائلا ومناشدا
هل كنت تحلم أن تكون متوجا ... فطلبت ذا تاج لتاجك عاقدا
أم كنت تطمع أن توحد أمة ... أضحت بايدي الطامعين بدائدا
حيث الولاة بها ملوك طوائف ... متقاطعين أدانيا وأباعدا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الى هذا تراه ناصباً شرك الخداع وذا لذاك مطاردا
أم همت في حب الولاية ناشدا زهو الملوك بها وعيشاً راغدا
أم كنت مهضوماً بأرضك فالتمست لرد حقك ناصراً ومعاضدا
أم كان ما تنويه سراً غامضاً مازال عن درك النهى متباعدا
مازال مكتوماً بصدرك حائراً وله بصدر الغيب كنت الوائدا
كانت مناك من الزمان طرائدا ماكن كي تصطادهن زهائدا
من راح يصطاد النجوم غدا كمن تخذ الاماني الكاذبات طرائدا
هل أنت الا شاعر ما كان الا للسوانح والبوارح صائدا
يمشي وراء خياله ويخال أن حاز النجوم توائماً وفواردا
أنظر دمشق فشيبها وشبابها ملأوا بذكراك المكان الخاشدا
اليوم قد ردت عكاظ كما بها عرضت الى جنب العروض فرائدا
هي نهضة أدبية لكفاك أن قد كنت نافخ نارها والواقدا
قد كافأتك دمشق اذ لم تنسها في شعب بوان الثناء الخالدا
هي للعروبة معقل والعلم كم قد زان اندية بها ومعاهدا
فاقت بجامعها ومجمعها وجا معة بها كل البلاد محامدا
بلد كفاه مفخرا ان لم يزل عن حوزة العرب الكرام مجالدا
يبني كما بنت الجدود ويرتقي ما قد رقوا للمكرمات مصاعدا
مسترشداً وطنية كانت وما زالت لأمته صوىً ومراشدا
فليهنَ في استقلاله وعليه فليضمم بدا مشدودة وسواعدا
وليستردَّ له نواضر عهده خضراً أرائكها ونوراً جاسدا
يحيي بطارفه الجديد مفاخرا عربية وقدائماً وتلائدا

سليمان ظاهر

عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذكرى شاعر

يا قلبُ عادكَ من دمشق عائدُ ... والذكريات من الحبيب تعاودُ
أيام تنشد في الجزيرة غاية ... يسمو بفكرته اليها الناشد
ما بيننا الا شباب طامح ... أو ثائر او ناقم او واجد
سرّ الفرات وسر دجلة بعده ... نبأ عليها من (ضُمير) وارد
قالوا: غداة غدٍ يقام لاحمد ... في قلب جلّق مهرجان حاشد
رُعي الذمام، وما أضيع ببلدة ... فيها لاحمد جيرة ومعاهد
واعيد مشهده وقلّ لمن له ... دون الثغور مواقف ومشاهد
ومنازل فيها الاماني كلها ... وهوى الاحبة والشباب المائد
ومحافل يبدو إمام عالم ... منها يطارحه أمير ماجد
يتذلل الرومي فيها قائماً ... والتغلبي على يفاع قاعد
وقصائد فيها الكلام جحافل ... وجحافل فيها الفتوح قصائد
ولقد يحنّ الى الكفاح رفاته ... بطل تناذره الكماة مجاهد
خير النوابغ من أجدّت ذكره ... وتعهدته أقارب وأباعد
وتسالمت ان الزعامة حقه ... في المبدعين مذاهب وعقائد
اما المذاهب فهي شتّى لم تزل ... لكنما الوطن المفدّى واحد

* * *

خلت العصور، وما خلت من ناقل ... او قائل: هذا الحكيم الخالد
او مورد للقول فيمن حيّرت ... منه الفحول مصادر وموارد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما العبقريـ الفذ الا فكرة ان مات عاش بها الرميم الهامد
واذا تأملت الخلود أصبته في الصالحات وحيث يفنى الفاسد
لا بد من نقد الزمان فانما نحن الدراهمُ والزمان الناقد
حسدوا النبوغ وناوؤه فلم يمت بل مات بالداء الدفين الحاسد

* * *

يا شاعراً قاد القلوب لغاية لم يدن منها شاعر أو قائد
قرنوا بكل مفوّه شيطانه اما قرينك فالعظيم المارد
أمتعتنا بذخائر الشعر الذي لولاه ما نبذ المتاع الكاسد
سهل عليك ابية ألفاظه ولغاته فهو الاليف الآبد
نُشرت به في كل فجّ حكمة وتُعوطي المثل البليغ الشارد

* * *

يا موسمَ الادب الجميل رسالةً لذويك يحملها البريد الواخد
عودوا الى الماضي ، فان عدتم له مستلهمين فثمّ مجد عائد
للبذرة الاولى يد محمودة لا تجحدوها فالشقي الجاحد
والكون مزدرع فجيل حارث فاتته بغيته وجيل حاصد
أعياد أحمد للنهوض علائم وعلى الحياة أدلة وشواهد

بغداد : محمد رضا الشبيبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تصحيح نهاية الارب

جزؤه الحادى عشر

صفحة ٢ سطر ٦ ــ قوله يصف خلقة النبات وأطواره العجيبة : (وبقيت آثاره بعد ذبوله أحسن منها يوم زفافه · وحصل الانتفاع به في حالتي غضاضته وجفافه) لامعنى لزفاف النبات (بالزاي) وحمله على المجاز تكلف بعيد · فصوابه (رفافه) بالراء المهملة مصدر رَفّ النبات إذا اهتزّ نضارةً · ولم يُذكر هذا المصدر في المعاجم وانما الذي ذكر فيها الرف والرفيف · لكن السجع الذي أولع به المؤلف حمله على استعماله ، بل ربما كان مستعملا على لسان أهل زمانه أيضاً · فهو من كلمات ذلك الزمن العامية · وكتاب نهاية الأرب حوى كثيراً منها · وسيأتي صفحة ١١ سطر ١ ــ كلمتا (الغراسة والزراعة) وليس في اللغة (غراسة) فهي مولدة استعملها المؤلف وان كانت عامية للمزاوجة بكلمة (زراعة) وهكذا (الرفافة) بالراء المهملة ·

صفحة ١٩ سطر ٩ ــ قوله (إذا نمدت به) ضاده ساقطة وصوابه (اذا ضُمدت)

صفحة ١٩ سطر ١١ ــ قوله (واذا ضمد به بالشراب الخ) (به) اي بالباقلي · و (الشراب) اسم عام لكل ما يشرب من المائعات وقد يراد به المسكر فلعل صواب بالشراب بالسذاب : النبات الذي يتداوى به ·

صفحة ٨٧ سطر ٣ ــ قوله (وشجر اللوز المرّ اذا دُقّ ناعماً وخُلط بالخلّ) لعل صوابه و (ثمر اللوز) فانه هو الذي يُدقّ عادة ولو أراد الشجر نفسه لقال (وخشب اللوز المرّ أو وعيدان اللوز المر)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ص ٩٥ سطر ١ ــ قوله في صفة الفستق :

(مسفر عن جوهر أخضر فيه مُطبق)

صوابه (سافر عن زبرجد الخ إذ يقال سَفر عن وجهه لا أسفر ثم إن الفستق اذا انكشف قشره انكشف عن لبه الذي يشبه زبرجداً أخضر فالخضرة من صفات الزبرجد لا مطلق جوهر . وقد مرّ في صفحة ٩٣ قول الصنوبري في تشبيه الفستق (زبرجدة ملفوفة في حريرة الخ) وقول الآخر :

(حُقّ من العاج يحوي زبرجداً في عقيق)

ويصح أن يوضع مكان (زبرجد) (زمرد) فان الزمرد أيضاً يشبه به الفستق وقد ذكر المصنف في ذلك عدة أبيات

صفحة ١٠٨ سطر ١١ ــ قوله يصف الموز :

(فيه شراب وغذا يزيل كالماء القذا)

صوابه (يريك) أي اذا كان في الشراب قذى يُريكه كما يريكه الماء . ويؤيد ما قلنا قول ابن رشيق بعده :

(ترى القذى العينُ فيه كما يريها النبيذ)

صفحة ١١٠ سطر ٦ ــ قوله في الموز أيضاً :

(كأن عرجونَهُ المشيبُ أتى يُخبر أنْ حانهُ انقضا عُمُره)

(حانه) كذا بالحاء المهملة ولا معنى له . وانما صوابه (خانه) بالخاء المعجمة ومعنى (خانه انقضا عمره) أن موته أو أجله لم يمهله بل عجّل عليه على غير ما يتوقع . يقال : (خانه الأجل) وهو من فصيح الكلام . ولا يخفى أن فعل (حان) بالحاء المهملة فعل لازم غير متعد الى مفعول : يقال (حان حينه) أي قرب وقته .

صفحة ١١١ سطر ٥ ــ قوله في تشبيه النارنج :

(كأنه مستعار الشبه من سَفَن مُذهّب أو حباه لونه الشَفَقُ)

قوله (سَفن) بالتحريك ليس له معنى مناسب هنا . وانما صوابه (قُطن) وطاء القطن تسكن وتضمّ . فالشاعر يشبه بياض قشر النارنج الثخين تحت قشره الاحمر الرقيق بالقطن الذي لونه لون الذهب أو لون الشفق . وتشبيه لبّ الثمر الابيض بالقطن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معهود لديهم: ففي صفحة ٣٢ وصفحة ٣٣ شبه الشاعر المأموني بياض قشر البطيخ المقشّى بالخضرة ـ بعُطب القطن . والعطب جمع عطبة ، وهي قطعة القطن . وفي صفحة ١٠٢ شبّه الشاعر شحم الرمان بالقطن . وغير ذلك كثير .

صفحة ١١١ سطر ٨ ـ قوله يصف غصون النارنج .

(صوالج من غصون ناعمات غذّتها دِرّةُ العيش الانيق)

(الدِرّة) بكسر الدال سيلان اللبن من الثدي و (الانيق) المعجب . و(العيش) لا معنى له هنا . وانما صوابه (الغيث) اي المطر ، فهو الذي له درّة تسيل كما تسيل درة الثدي فتغذي الغصون الناعمة نعومة الاطفال .

صفحة ١١٥ سطر ١٠ ـ قوله يصف نارنجة : (كالفهر لُفّت في حزير أصفر) (الفهر) الحجر ولا معنى مناسب له ههنا فصوابه (كالعهن) أي الصوف ، وبعضهم لم يشترط في العهن أن يكون ملوّناً بالاصباغ كما هو المشهور في معناه ، ففي اللسان : (وقيل كل عهن صوف) وفي الصحاح عن أبي عبيدة (والعهن الصوف) . وفي صفحة ٩١ سطر ١٠ شبّه الشاعر قشرة البندق الجوانية الرقيقة بالصوف الاحمر . وقوله (لُفّت) بتأنيث الفعل يؤيد ما قلنا أي أن يكون الصواب (العهن) على اعتباره جمعاً لعهنة بمعنى القطعة منه . ولا يصح هذا الاعتبار في (الفهر) لانه مفرد مذكر ولا يؤنث ضميره .

صفحة ١٢١ سطر ٩ ـ قول عبد الصمد بن المعذل يصف أشجار النخل :

(إن هي أبدت زينة المردان لاحت بُكافور على إهان)

(الاهان) عراجين النخل وهي زينة زيّنها بها الرحمن وهو الله تعالى . فصواب (المردان) إذن (الرحمن) ويؤيده أن أبا هلال العسكري نحا في وصف النخل منحى عبد الصمد ، فقال في الصحيفة التالية سطر ١٢ (وتراءت بزينة الرحمن)

صفحة ١٤٧ سطر ٣ ـ قوله (فإذا أكل أي العنقود فهو شمراخ) نلاحظ على المؤلف نفسه أننا لم نجد في اللسان ولا التاج ولا غيرهما من كتب اللغة المشهورة أن (الشمراخ) هو العنقود الذي أكل ما عليه من الحب بل الامر بالعكس : فقد قالوا ان الشمراخ هو العنقود الذي عليه بسره أو عنبه . فالعنقود يكون من النخل كما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يكون من الكرم . واذا أكل بعض ما على العنقود فهو (عمشوش) والعامة في بعض بلاد الشام يحرّفونه الى عرموش وفي بعضها الى حشمول .

ص ٢٢٣ س ٥ — قال الشاعر في صفة زهر النيلوفر: (صُفر المدارى تضمها شُرَف). قوله (شرف) بالشين المعجمة والفاء على وزان (غُرَف) لامعنى له وصوابه (سَرَق) بالسين المهملة والقاف محركتين جمع (سَرقَة) وهي الشُقّة من جيد الحرير الابيض . أما تشبيه اوراق الزهر بشقق الحرير الملوّن فهو كثير في كلامهم :

ففي ص ٢٢٥ س ١١ قول الطغرائي في نيلوفر أيضا :

(مظاهِرٌ ثوبَ حِدادٍ على ثوبِ بياضٍ عُلَّ بالورس)

وفي ص ٢٤٤ س ١١ قوله في وصف حديقة زهر :

(عذراء حبلى قَمَطت أولادها حُمراً وصُفراً في الحرير الازرق)

ص ٢٢٣ س ١٦ — قول الطغرائي في النيلوفر :

(ونيلوفر أعناقه ابداً صُفر كأن به سكراً وليس به سكر

قوله (صفر) بالفاء . وصوابه (صُعُر) بالعين المهملة جمع (أصعر) والصَعَر الميل يكون في العنق كما يكون في الخدّ ومنه قوله تعالى (ولا تصعِر خدك للناس) . فالشاعر يقول : ان اعناق زهر النيلوفر مائلة دائما ميلان من غلبه السكر وقوله (ابداً) يؤيد ما قلنا ولو كان من لون الصفرة لما قال ابداً كما لايخفى على الاديب .

ص ٢٣٧ س ١٥ قوله :

(كأنما ياسميناتنا الغضُّ كواكب في السماء تبيض)

نُصب (ياسمينا) وصوابه الرفع على الابتداء . وقوله في القافية (تبيضُّ) صوابه (تنقضُّ) لأنه لما شبه زهرات الياسمين بشهب الكواكب ناسب أن يشبه تساقطها من وقتٍ الى آخر بانقضاض تلك الشهب . أما تشبيه الياسمين بالكواكب التي تبيض فتشبيه تافه سقيم

صفحة ٢٤٦ سطر ٥ — قوله في صفة قُضب الزعفران :

(يَتَنَقَّبْنَ للرجال غدواً ثم يسفرن ضحوةً للنساء)

قوله (غدواً) صوابه (مساء) ليقابل قوله بعده (ضحوة) ويؤيده قول الآخر في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صفحة ٢٤٧ سطر ٣ ــ في الزعفران ايضا

(متقنعات في الدُجى فاذا بدا للصبح إسفار سفرن خمارها)

فقوله (في الدجى) هو بمعنى (مساء) الذي صححن به (غدوًا)

صفحة ٢٥٧ سطر ٥ ــ قوله في وصف (شِعب بوّان) : (الذي غدت مغانيه مغاني للزمان) قوله (مغاني) كذا بالغين المعجمة ولعل الأصوب ان يكون (معاني) بالعين المهملة جمع (معنى) وهو ما يُعنى ويقصد من اللفظ . وكذا (مغاني الشعب) ومنازل السكان فيه هي معاني للزمان تعنى به وتقصد منه ولولاها لكان الزمان لفظاً مهملا لامعنى له ولا فائدة تستفاد منه

ويبعد ان يكون اراد بقوله (المغاني) بالغين المعجمة أن يقتبس معنى بيت المتنبيء

(مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان)

ولو اراده لقال مثلا (الذي غدت مغانيه بين مغاني الاكوان . بمنزلة الربيع من الزمان) فيكون للاقتباس معنى مفهوم . اما عبارته هذه مع جعل (المغاني) فيها بالغين معجمة فجدٌ مبهمة بحيث اصبح معناها في واد ومعنى بيت المتنبيء في واد .

صفحة ٢٦٨ سطر ٩ ــ قال المعوّج الشاعر يصف براعيم الزهر ويشبهها بأوعية الطيب :

(حِقاقٌ من النوّار مزرورةُ العُرى على قِطَع الياقوت واللؤلؤ الغضّ)

(فهن على الاغصان احقاق فضةٍ وبالامس كانت مطبقات على الغمض)

قوله (احقاق فضة) فيه حسن تشبيه لكن فيه شيٌ من التكرار مع قوله في البيت قبله (حقاق من النوّار) على أن هذا لا يضر وإنما الذي يضر أمر المقابلة بين (احقاق فضةٍ) وبين (مطبقات على الغمض) فهو يقول ان براعم النَور كانت بالأمس مطبقات الاجفان على الغمض . أما اليوم فهي على الاغصان احقاق فضة . أيحسن هذا في ذوق القارئ ؟ أو انه يحكم معي بان قوله (أحقاق فضة) محرفة عن (اجفان يقظة) ويكون المعنى ان البراعم أصبحت اليوم متيقظة منتّحة الاجفان بعد أن كانت بالامس نائمة مطبقة الاجفان .

ص ٢٧٤ سطر ٩ ــ تكلم على السوسن ووصف جذره وورقه وزهره وذكر لها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فوائد طبية ثم قال (وغيره يُطبخ في الخل والعسل الخ) فقوله (وغيره) محرف عن (وزهره) أو الاقرب ان يكون محرفا عن (وثمره) لكن يعكر على هذا ان ليس للسوسن ثمر وإنما له زهر فيكون اطلاق الثمر على الزهر من قبيل التسامح او من قبيل المجاز الا أن يدعي مدع أن هذا الاطلاق مما يعرفه أهل اللسان فليحقق إذن .

صفحة ٢٧٦ سطر ٤ — قوله يصف السوسن :

(حملت سقيطُ الطلّ في ورقاته فكأنه متبسّم مستعبر)

ضمير (ورقاته) يرجع الى السوسن (وسقيط الطلّ) ماتساقط في ورقات السوسن من المطر . وسقيط مفرد مذكر ، فكيف أنّث فعله وقال (حُملت) ؟ فلعل صواب (سقيط الطلّ) (نقاط الطلّ) أو الصواب نصب (سقيط) وتأنيث ضمير (ورقاته) على معنى أن السوسنة حملت قطر المطر في ورقاتها .

صفحة ٢٧٦ سطر ١٢ — قال الشاعر :

يا ربّ سوسنة قبّلتها شغفًا وما لها غيرَ نشر المسك من ربق
مصفرّة الوجه مبيضّ جوانبها كأنها عاشق في حجر معشوق

جعل نشر المسك أي رائحته الطيبة ريقًا أي لعابًا للسوسنة وفي هذا الجعل شيء من تكلف . وكأنه اضطر اليه ليقول في قافية البيت الثاني (كأنها عاشق في حجر معشوق) . ولولا الحسن في هذا الشطر وقافيته لصحّ لنا ان نقول : إن الصواب في قافية البيت الأول (ومالها غير نشر المسك من طيب) وفي قافية البيت الثاني (كأنها عاشق في حجر محبوب)

صفحة ٢٧٦ سطر ١٥ — قال الشاعر :

(ان كان وجه الربيع مبتسمًا فالسوسن المجتنى ثناياه)

ضمير (ثناياه) راجع الى الوجه . ونسبة الثنايا الى الوجه غير مألوف ولا معهود الاستعمال . فصوابه اذن (كأنّ ثغر الربيع مبتسمًا) ويؤيده ايضًا وصفه بالابتسام ، فانهم يقولون : باسم الثغر لا باسم الوجه .

قال الشاعر يصف آذريونةً أطراف أورافها مسنّنة :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكأنما تشريفها من فوقها حَبَبٌ يفرّج عن رحيقٍ أكهبِ

أول ما خطر لي في كلمة (تشريفها) بالفاء أن تكون محرّفة عن إحدى كلمات ثلاث : تفريضها أو تحزيزها أو تسنينها ، والتفريض في الشيء أن تجعل فيه فروضاً وحزوزاً كالتسنين أن تجعل فيه أسناناً ؛ ولكن في ذلك كله بُعد . والأقرب أن تكون كلمة (تشريفها) محرفة عن (تشريمها) بالميم من شرّم الشيء اذا شقّقه ؛ غير أنه سيأتي في (ص ٢٨٦ س ١١ وفي ص ٢٨٩ س ٨) استعمال مادة التشريف بالفاء بمعنى التشريم والتحزيز ، فقد قال : (فهو مشرف تشريف المنشار) ، ثم قال في وصف الأقحوانة (قد شرّفت حول مسمار من الذهب) فكأن (التشريف) بمعنى التشريم والتحزيز اصطلاح مولد للأدباء أو للنباتيين منهم : فإن ابن البيطار قال في صفة ورق نبات السماق (مشرف الأطراف على هيأة المنشار)« راجع هامشة صفحة ٣٢٢ رقم ٢ من تعاليق المصحح الفاضل » ، ولعل استعمالهم للتشريف جاءهم من شكل شُرُفات قصورهم بل وقصورنا اليوم : فإن هذه الشرفات تُصنع أحياناً كثيرة مفرّضة مسننة كهيأة أسنان المنشار مع ملاحظة النسبة في الكبر والصغر ، ثم ولّدوا من ذلك كلمة تشريف أي تسنين وتحزيز . فنحن نُقرُّ كلمة (تشريف) الواردة في أقوال أدبائنا على أنها كلمة مولدة لا على أنها من فصيح كلام العرب . وأفصح منها كلمات مسننة ومحزّزة ومشرّمة ومخرّمة ومفرّضة ومُؤشرة ومنه تأشير الأسنان الذي كان يفعله الحسان .

صفحة ٢٨٥ سطر ١٣ = قال الشاعر :

تأمل فقد شقّ البهار مقلّصاً كمائمه عن نوره الخضل الندي

وفي أصول نسخ الكتاب (فقد شقّ البهار مغلّساً) من التغليس بدل (مقلّصاً) وقد قال المصحح إن « مغلّساً » تحريف وصوابه « مقلّصاً » ومعنى التقليص التشمير قلّص ثوبه أو ذيله أو كمه إذا شمّره ورفعه ؛ فتكون « كمائمه » على هذا مفعولاً به تنازعه كل من « شقّ » و « مقلّصاً » .

وأنا أرى أن « مغلّساً » صحيحة المعنى ولا علاقة لها بقوله « كمائمه » ، ويكون المراد أن البهار شقّ كمائمه عن نوره مبكراً جداً قبل أن ينبلج الصباح ، والتغليس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شائع الاستعمال في « زَهريات » الشعر ، من ذلك قصيدة البحتري الرائية ومطلعها :

أَلم تَرَ تغليس الربيع المبكّر وما حاكَ من نسج الرياض المنشّر

ثم إن في قول الشاعر « كمائمه » نظراً : ولعل الصواب « أكمّته » ففي كتب اللغة الكِمّ والكمام بكسر الكاف فيهما غطاء النَوْر ، ويقال في الجمع أكمّة وأكام وكمام وأكاميم ، ولم يقولوا كمائم ، على ان القواعد لا تأبى ان تكون كمائم جمع كمام كشمائل في جمع شمال .

والحاصل إنه لا حاجة الى تصحيح مفلّساً بمقلصاً ما دام التغليس واقعاً موقعه من الفصاحة والحسن وموافقاً لأساليب البلغاء ولا سيما أنه مثبت في أصول الكتاب .

المغربي

* * *

عبد الحميد الكاتب

حلّ النظم

أضيف الى حديث (حل النظم) في مقالة (سيفيات المتنبي) هذا الخبر ، وهو في (صبح الأعشى) نقلاً عن كتاب (الريحان والريعان) :

« وأول من فكّ رقاب الشعر ، وسرّح مقيده الى النثر عبد الحميد الأكبر كاتب بني أمية الى انقضاء خلافتهم » .

وفي تلك المقالة : (سيفيات المتنبي) في الصفحة (٣٤٢) في السطر (١٠) : « المنخرط في دموعه » صوابه « المستخرط في دموعه » ففي (اللسان) و(القاموس) : « استخرط الرجل في البكاء لجّ فيه واشتد » . وفي الصفحة (٣٤٨) في السطر (٨) « وكل دمٍ لم تحصنه ظباك » صوابه « وكل دمٍ لم تصنه ظباك » .

محمد اسعاف النشاشيبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وأفكار

كتاب كريم

بين فاضلين من أعضاء المجمع العلمي

جاء في جريدة (الاهرام) ما يأتي :

أرسل فضيلة العالم الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عالم الشام الى حضرة الأديب الكبير محمد إسعاف النشاشيبي بالكتاب الآتي :

حيا الله أديب العرب ، وحجة الأدب ، الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي على مايتحفنا به المرة بعد المرة من كتاب بعد كتاب ، كتب فيها آيات بينات على حبه للعروبة الراسخ وغيرته على الإسلام الصحيح ، وتجديده للأدب الحق ، وتقديره لأولي الجد والعزم في خدمة الأمة . وهذا كتابه (مقام إبرهيم) من شواهد الصدق على ما أقول ، فقد وفى فيه لصديقه الزعيم المجاهد الكريم **ابرهيم هنانو** (رحمه الله تعالى) ، ووصف لنا فيه جهاده المشكور ، ومقامه في العاملين أحسن وصف ، وصوّره لنا أبلغ تصوير ، فأذكرنا لدى تلاوته بأسلوبه العربي القرآني بقوله سبحانه : « وتلك حجتنا آتيناها إبرهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك عليم حكيم » « سلام على إبرهيم ، كذلك نجزي المحسنين » وتحية مباركة طيبة لك أيها الاستاذ الكريم ، المجدد لأسلوب الكتاب الحكيم ، سلام عليك في الآخرين « إنا لا نضيع أجر المصلحين » .

محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جمعية طلبة شمال افريقية المسلمين

والثقافة العربية

إن النهضة الادبية الحديثة التي امتدت جذورها الطيبة في عالم اللغة العربية قد عمت أقطاره وأقاليمه حتى بلغت بلاد الجزائر التي ظلت زمناً طويلا بعيدة عن كل حركة أدبية وحتى زاحت تونس ومراكش تسابقان مصر وسورية والعراق في مضمار خدمة اللغة العربية ، ومما يبعث الامل في النفوس ان الحركة اخذت شكلا منظما له اسس ونظامات ، فالجمعيات الثقافية التي تنتشر هنا وهناك تعمل بعزيمة صادقة على تثقيف الامة العربية ثقافة عربية خالصة ، دعامتها العلم ومادتها الفكر ، واسطتها التحليل والتنسيق .

تلك هي غاية جمعية طلبة شمال افريقية المسلمين التي لم يمض وقت وجيز على انشائها حتى وضعت هذه الغاية موضع التنفيذ والتطبيق ، فمن اجتماع بسيط في شارع سان جرمان في باريس عام ١٩٢٧ كانت الغاية منه توحيد كلمة طلاب الشمال الإفريقي في فرنسة تهديها الثقافة العربية ، راياها توفق سنة ١٩٣٤ الى عقد مؤتمر عام في باريز تناول البحث فيه اموراً ليس ابعد منها غوراً واكبر قدراً ومنها تحسين حالة التعليم في الغرب بصورة عامة وتعليم العربية بالجزائر بصورة خاصة مع الموافقة على النظام الجديد لجامعة الزيتونة والقرويين ، وتلك أمور لعمري ترتكز عليها حياة بلاد المغرب العربية ، وقد بحث المؤتمر فيها بحثاً موفقاً ، وأعد الوسائط لنجاحها .

ثم عادت الجمعية بعد المؤتمر الى ما شرعت فيه ناشطة الى تحقيق ما يمكنها تحقيقه وتهيئة السبيل الى تطبيق الفكرة العامة والأسس التي جهزها المؤتمر لها ، والطرق التي تتبعها لذلك مستقيمة صالحة ، فهل أقوم للآراء من احتكاك بعضها ببعض ، احتكاكاً لينا مباشراً صادقاً ؟ وهل أصلح لها من درس الامور المهمة درساً منيراً علمياً ؟ وهل أوثق من تعميم نتائج البحث ونشرها لتكون مثالاً يحتذى وواسطة تتخذ ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا ما وصلت إليه جمعية طلبة شمال افريقية بتأسيسها ناديًا عامًا لطلاب الشمال الافريقي يجتمع فيه أعضاؤها صباحًا ومساء اجتماعًا وديًا أخويًا علميًا ، تتقرب فيه الأفكار بعضها من بعض وتجد واسطة للتعبير عن مداها وإحداث صدى لها ، وباجتماع اسبوعي مساء الاثنين لسماع محاضرة من أحد الاعضاء في اختصاصه أعدها بعد طول النظر وكثرة البحث ، موضوعها غالبًا حالة البلاد المغربية وعلاج تلك الحال . وباجتماع شهري عام ينظر فيه الى ما فعلته الجمعية خلال الشهر من الاعمال وما اهتدى اليه أعضاؤها من أفكار ونظم جديدة ، وبتمهيد السبيل إلى عقد مؤتمر عام تنشر فيه هذه الافكار ويعمد إلى تطبيقها ، تلك غايتها وتلك طريقتها ، أضف اليهما الدروس العربية التي يلقيها من الاعضاء الضليع من اللغة العربية على إخوانه الذين لم يدرسوها درساً جيداً ، وأضف ايضاً ما تقدمه الجمعية لأعضائها من مطعم رخصت اسعاره وطاب ، ومن رحلات وجولات في مختلف انحاء فرنسة ومن اتصال دائم بمختلف طلاب العرب في فرنسة .

وخلاصة القول ان الثقافة العربية وجدت في المغرب العربي من الشباب اقبالاً عظيماً منظماً ومدرباً وهم أولئك الذين يتلقون في اوربة حب العلم مع العلم نفسه بأنهم هم الذين يقطعون العهود على أنفسهم في تلك الجمعية بنشر الثقافة العربية وتعميمها ولكن أية ثقافة : ثقافة راشدة ناضجة، للمرقي العلمي فيها أثر كبير وللمناهج الحديثة فيها أعظم نصيب .

يوسف العش

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

كتاب علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ وشرحه التقييد والايضاح للحافظ العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ وتعليقات عليه في الذيل لناشر الكتابين الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي ص٤٣١ طبعها وصححها محمد راغب الطباخ مؤلف التاريخ الكبير (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) سنة ١٣٥٠هـ و١٩٣١م .

اشتهرت مقدمة الامام عثمان المعروف بابن الصلاح في علوم الحديث ، كما اشتهرت مقدمة الامام عبد الرحمن بن خلدون في التاريخ ، فقد تكرر طبعها في الهند ومصر ، وتناولتها أيدي محبي السنة وانصارها ، حتى نفدت نسخها ، ولكن هذه الطبعة التي عني بها صديقنا العلامة الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي أحد أعضاء المجمع العلمي العربي ، قد امتازت بامور (منها) معارضتها قبل الطبع بكثير من النسخ المحررة المقروءة على أئمة الحديث في عصورهم ، وعليها سماعاتهم وتواقيعهم ، (ومنها) أنه طبع مع الكتاب شرحه المسمى التقييد والايضاح ، لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح ، (أي انه قيد مطلقها وفتح مغلقها كما قال ، وناهيك بالحافظ العراقي وسعة علمه في الحديث ، ووقوفه على حقائق فنونه ودقائقها ، (ومنها) تعليقات الاستاذ الطباخ التي سماها المصباح على مقدمة ابن الصلاح ، فقد جمع ابن الصلاح رحمه الله خمسة وستين نوعاً من علوم الحديث ، وشرحها الحافظ العراقي ، ولكنه أهمل الكتابة على تسعة عشر نوعاً منها ، فأوضحها الأستاذ الناشر بتعليقاته عليها ، وأنشأ تعليقات لطيفة على غيرها أيضاً ، فجاء الكتاب تاماً وافياً . (ولعله في الطبعة الثانية يستغني عن اثبات همزات الوصل إن شاء الله) .

وقد قدم له الاستاذ الناشر مقدمة وصف فيها مقدمة ابن الصلاح وشرح الزين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العراقي لها ، والنسخ الخطية التي ظفر بها في خزانات الكتب الحلبية وغيرها ، وكيف عارضها بها وصححها عليها . ثم أضاف الى الكتاب ترجمة الامام ابي عمرو بن الصلاح والحافظ زين الدين العراقي ، فجاء الكتاب في نحو اربعمئة وثلاثين صفحة بالقطع الكبير .

ومن ذلك كله تعلم جهود الأستاذ التي بذلها في هذه السبيل ، حتى برز الكتاب بهذا الشكل الجليل ، فجزى المولى المؤلف والشارح والناشر أفضل الجزاء ، ونفع بهذا الكتاب عشاق الحديث وفنونه ، فهو من أنفس ما يقتنى .

* * *

رسالة في الكتابة العربية المنقحة

وضعها الاب أنستاس ماري الكرملي توصلاً إلى القراءة العربية بلا ضبط الفاظها وتسهيلاً لها على الاميين

طبعت هذه الرسالة المفيدة في بغداد برواسم (كليشات) كتب أصولها عبدالرزاق ابن محمد الحاج فليح البغدادي ، وتتألف من خمس وعشرين صفحة .

لا يزال حضرة العلامة الاب انستاس يطلع على الناس من حين إلى حين بكل تحقيق ، وبحث ممتع دقيق ، فكتب هذه الرسالة لتسهيل الخط العربي وضبطه ، فبدأها بلمحة في تغيير الحروف ، عزز هـا بكلمة في قصور الحروف العربية الحالية عن تأدية اللفظ حق التأدية ، ثم بحث عن نقص عظيم في خطنا ، وهو الذي يجعل تعلم لغتنا بعيد المنال عسيراً ، أعني به عدم وضع علامات الضبط والحركات على حروفنا ، فتحتمل الكلمة الواحدة قراءات مختلفة أو أوجهاً كثيرة فقد تقرأ الكلمة المركبة من حرفين مثل (رب) على احد وعشرين وجهاً ، والمؤلفة من ثلاثة احرف مثل (ربط) تقرأ على ٢٧٣ وجهاً ، بخلاف الحروف اللاتينية التي لا تقرأ بوجه الاجمال إلا بالصورة التي صوّرت بها ، وذلك لانك إذا رسمت الكلمة ، رسمت معها الحروف المصوّتة او حروف العلة فيتعلمها القارئ الغربي بسهولة ، والعربي يقضي السنين الطوال قبل اتقان القراءة ، ولذا قال اديب عربي كبير : يدرس العربي احكام اللغة العربية ليتعلم القراءة ، ويقرأ الاجانب ليتعلموا العلوم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتتلخص طريقة حضرة آلاب العلامة بالأخذ بشيئين :

الاول : ادخال حروف جديدة من صحيحة ومعتلة على ابجديتنا ، وهي الحروف الموجودة في لغات الغرب لتصوّر بها اغلامهم والفاظهم تصويراً صحيحاً

والثاني جعل حركات الضبط والنطق التام في اثناء الكلمة لا خارجاً عنها من فوق أو من تحت .

ونرى ان المؤلف قد أحسن صنعاً في اقتباس الحروف التي ادخلها الفرس والترك والكرد والهنود في رسم كلماتهم ، وذلك لانها قد عمت عالم الادب وأصبحت مأنوسة لمشاكلتها لحروفنا ، ولكثرة ما وقعت عليها عيوننا ، وهي خمسة أحرف : الباء والجيم والزاي والفاء والكاف ، ولكل منها ثلاث نقط .

واما الذي احدثه فهو تصوير الحركات العربية والاجنبية ، ويرى ادماجها في سياق الكلمة نفسها ، وان تكتب بعد الحرف الصحيح ، لان الحركة فرع ، والفرع يأتي بعد الاصل ولا تكتب فوقها ولا تحتها .

اما الحركات الاصلية الثلاث فقد ابقاها على حالها وصورها بأحرف فوضع للضمة علامة تشبه رسم السبعة العربية وطرفاها متجهان نحو يسار الكاتب ، وإذا اتجه الطرفان منها الى فوق كانت فتحة ، واذا اتجها الى أسفل كانت كسرة ، واشبهت الثانية .

واما الحركات الاجنبية او الحروف المعتلة فقد صوّر حرف o الفرنسي بواو قلب طرفه الدقيق الى فوق ، وحرف u بواو مقلوبة الطرف الى اسفل ، وصوّر é وهو الف الامالة في العربية بألف تحتها نقطتان ؛ واما حرف e وهو حركة قصيرة تكاد تكون سكوتاً او (الاشمام) بلغتنا فقد صوره بالرقم سبعة وطرفاه متجهان نحو يمين الكاتب .

إن اهتمام علماء العربية بهذا الموضوع الخطير مما يبشر بقرب الساعة التي تتم فيها الكتابة العربية ، فممن اهتم به العلامتان الشيخ طاهر الجزائري والشيخ ابراهيم اليازجي ونرى ان هذا الشأن مما يجب على المجمعين اللغويين في دمشق ومصر أن يأخذا فيه برأي الخطاطين صيانة لنمط الخط العربي ورشاقته وليسهل صوغ (صبّ) حروفه ، وهي قريبة الشبه من الحروف العربية .

النوضى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجلد الرابع عشر — الجزء ١١ و ١٢

مجلة المجمع العلمي العربي

السنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٣٦ م

شعبان ورمضان سنة ١٣٥٥ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى ، ثمن السادسة الى كل سنة منها في الداخل ٢٥٠
« السابعة الى الثانية عشرة « « ٢٠٠
« الاولى الى السادسة « في الخارج ٤٠٠
« السابعة الى الثالثة عشرة « « ٣٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net